الفوائد العقدية
المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون

تأليف

الدكتور/ المرابط محمد يسلم المجتبى الشنقيطي
أستاذ العقيدة والفرق والمذاهب المعاصرة المساعد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة
المدينة المنورة

من ٢٥٩٩ إلى ٢٧٠٦

مستخلص البحث

يتناول البحث قصة مؤمن آل فرعون في القرآن الكريم، من خلال الآيات الواردة في شأنه في سورة (غافر) واستنباط الفوائد والمسائل العقدية التي اشتملت عليها هذه القصة العجيبة، وقد بلغت عشرين فائدة عقدية؛ مع إيضاح الملابسات المتعلقة بشخصية هذا المؤمن: من هو؟ وما المحقق في اسمه؟ وما هي قصته إجمالا؟

واعتمد البحث على المنهجين: الوصفي والتحليلي، وجاءت خطة البحث على النحو التالي:

خطة البحث:

عنوان البحث: (الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون).

- المقدمة :وفيها الديباجة، وسبب الكتابة في الموضوع، وذكر المنهج، والخطة في كتابة البحث.
- المبحث الأول : من هو مؤمن آل فرعون ؟
- المبحث الثاني : التحقيق في ذكر اسمه .
- المبحث الثالث : قصة مؤمن آل فرعون إجمالاً .
- المبحث الرابع : الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون. وقد بلغت هذه الفوائد عشرين فائدة.
- الخاتمة : وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.
- الفهارس : ثم ذيلت البحث بفهرسين :

أولا: فهرس المصادر والمراجع.

ثانيا: فهرس مواضيع البحث.

وأحسب أن دراسة قصة مؤمن آل فرعون، واستنباط الفوائد والأسرار العقدية التي اشتملت عليها، والعناية بهذا الموضوع والكتابة فيه مما يعد إضافة علمية؛ خصوصا أنني لم أقف على دراسة سابقة في هذا الموضوع – حسب اطلاعي.   والله تعالى أعلم.

الدكتور المرابط محمد يسلم المجتبى الشنقيطي

بريد إلكتروني: (algekeni@gmail.com)

The creedal benefits derived from the story of the believing man of Pharaoh's family

Dr. Al-Murabit Muhammad Yaslam Al-Mujtaba As-Shanqeeti.
Professor of Doctrine and Difference contemporary doctrines assistant
Taiba University - Faculty of Arts and Humanities

Abstract

The research addresses the story of the believing man of Pharaoh's family in the Noble Qur'an based on the verses revealed on his account in Surah (Ghafir) to derive the creedal benefits and issues, which are twenty benefits contained by this wonderful story. Moreover, it also explains the circumstances associated with the personality of this believing man: Who is he? What is his verified name? And what is his story in brief?
The research work adopted two methodologies: Descriptive and analytic and the proposal appears like this:
Research proposal:
Research title: (The creedal benefits derived from the story of the believing man of Pharaoh's family).
Introduction: It involves the preamble, reason for writing on this theme, statement of the methodology and research writing proposal.
Section 1: Who is the believing man of Pharaoh's family?
Section 2: verification of his name.
Section 3: The story of the believing man of Pharaoh's family in brief.
Section 4: The creedal benefits derived from the story of the believing man of Pharaoh's family, which are twenty benefits.
Conclusion: This includes the research findings and recommendations.
Indices: The research was appended with two indexes:

- **a- The bibliography.**
- **b- Index of research themes.**

I feel that study of the story of the believing man of Pharaoh's family and derivation of the creedal benefits and secrets as contained in this story and writing on the theme is considered a scientific enrichment especially that I have not found any previous study on this theme according to my knowledge and Almighty Allaah knows best.

Kay word: **The creedal , derived , benefits , believing man , Pharaoh's family**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سلك سبيلهم، واتبع منهجهم إلى يم الدين، و((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا))[١]، فشرَّفَنا به، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس؛ نأمر بما يأمر به من المعروف، وننهى عما ينهى عنه من المنكر، قال تعالى: ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))[٢]، وأمرنا بقراءته، وتدبر آياته، والاعتبار بمواعظه؛ فقال تعالى: ((كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ))[٣]، ومما يعين على تدبره، وفهم معانيه، النظر في لطيف القصص الواردة فيه، وأحسن القصص، وأصدقه، وأجمله، وألطفه: القصص القرآني؛ كما قال تعالى: ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ))[٤]

أما بعد: فهذه فوائد عقدية، مستنبطة، ومستوحاة من قصة مؤمن آل فرعون – رضي الله عنه – استخرجتها من الآيات الواردة في قصته مع قومه، وهو يدعوهم إلى العزيز الغفار؛ من خلال "سورة غافر" الآيات (٢٨ – ٤٦) وهي قوله تعالى: ((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ

---

١ سورة الكهف (الآية: ١).

٢ سورة آل عمران (الآية: ١١٠).

٣ سورة ص (الآية: ٢٩).

٤ سورة يوسف (الآية: ٣).

ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾
مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ
عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ
لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ
ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ
﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ
سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ
يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ
ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞
وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ
بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ
دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ
ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا
وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾)).

منهج البحث : اتبعت في كتابة هذا البحث المنهجين: الوصفي، والتحليلي، وكان منهجي في صياغة الفائدة العقدية من آيات القصة: هو وضع عنوان

جانبي للفائدة العقدية، ثم أقوم بالتأصيل لتلك المسألة العقدية، فقد يحتاج المصطلح للتعريف به لغة وشرعا، والاستدلال على الفائدة من الكتاب والسنة، وتعضيد المسألة ببعض أقوال السلف، وأهل العلم؛ إن استدعى الأمر ذلك، ثم في نهاية كل فائدة عقدية مستنبطة، أضع عنوانا جانبيا؛ لبيان موضع الشاهد على الفائدة من آيات القصة؛ هذه صورته:

ومن شواهد هذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون:

خطة البحث:

عنوان البحث: (الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون).

يتكون هذا البحث من : مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة وفهرسين؛ على النحو الآتي :

المقدمة :وفيها الديباجة، وسبب الكتابة في الموضوع، وذكر المنهج، والخطة في كتابة البحث.

المبحث الأول : من هو مؤمن آل فرعون ؟

المبحث الثاني : التحقيق في ذكر اسمه .

المبحث الثالث : قصة مؤمن آل فرعون إجمالاً .

المبحث الرابع : الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون.

وقد بلغت هذه الفوائد عشرين فائدة.

الخاتمة : وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس : ثم ذيلت البحث بفهرسين :

أولا: فهرس المصادر والمراجع.

ثانيا: فهرس مواضيع البحث.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعلني موفقاً فيما كتبت، وأن ينفعني به، ومن اطلع عليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه؛ فما كان فيه من صواب فمن الله وتوفيقه،

وما كان فيه من خطأ، فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله من ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول : من هو مؤمن آل فرعون ؟

اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن من هو ؟ فقال قوم إنه من قوم فرعون وكان يكتم إيمانه ، وقال آخرون : إنه من بني إسرائيل يقول الإمام ابن جرير الطبري[1] – رحمه الله – : (اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن فقال بعضهم : كان من قوم فرعون , غير انه كان قد امن بموسى , وكان يسر إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه قال السدي: هو ابن عم فرعون , ويقال : هو الذي نجا مع موسى , فمن قال هذا القول وتأول هذا التأويل كان صواباً الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله (﴿ من آل فرعون)﴾ لأن ذلك خبر متناه قد تم , وقال آخرون : بل كان الرجل إسرائيلياً , ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون، والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله : (﴿يكتم إيمانه ﴾) لأن قوله : ﴿(من آل فرعون)﴾ صلة لقوله (﴿يكتم إيمانه)﴾ فتمامه قوله: ﴿(يكتم إيمانه)﴾ ...... وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي: القول الذي قاله السدي؛ من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله ، وقال له : (﴿ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)﴾[2]، ولو كان إسرائيليا لكان حرياً أن يعجل هذا القائل له ولملته ما قال بالعقوبة على قوله؛ لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل لاعتداده إياهم أعداء له؛ فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد سبيلاً !! ولكنه لما كان

---

[1] هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام المفسر المؤرخ الفقيه الحافظ، ولد بطبرستان عام ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد حتى توفي بها سنة ٣١٠هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤، ووفيات الأعيان ١٩١/٤، والأعلام ٦٩/٦.

[2] سورة غافر (الآية: ٢٩).

من ملأ قومه استمع قوله، وكفَّ عماهم به في موسى)١، وقال الإمام ابن كثير[٢] – رحمه الله– : (المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون، قال السدي : كان ابن عم فرعون، ويقال : إنه الذي نجا مع موسى عليه السلام واختاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه، وكف عن قتل موسى –عليه السلام – ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لأنه منهم، وقال ابن جريج وابن عباس – رضي الله عنهما –: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال[٣] : ﴿(يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك[٤])﴾٥، وقد رد الشوكاني[١] – رحمه الله – القول بأن

١ تفسير الطبري ٥٤/١١، وانظر تفسير ابن كثير ٩٩/٤ , وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٨.

٢ هو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي الفقيه المفسر، ولد سنة ٧٠١هـ، ورحل في طلب العلم، وله تصانيف كثيرة، تناقلها الناس في حياته، كانت وفاته بدمشق سنة ٧٧٤هـ. انظر شذرات الذهب لابن العماد ٢٣١/٦ ، والبداية والنهاية للمترجم له ٣١،٤٦/١٤ ، والأعلام للزركلي ٣٢٠/١.

٣ ويعرف بمؤمن آل يس، المذكور في سورة (يس)، وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (الصديقون: حبيب النجار، مؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون، الذي قال ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)) والثالث أبو بكر الصديق، وهو أفضلهم) انظر تخريجه في صـ، وهو غير مؤمن آل فرعون، وقال الزمخشر: إنه ابن عم آخر لفرعون، وجزم ابن عاشور أنه رجل آخر غير مؤمن آل فرعون. انظر الكشاف للزمخشري ٣٩٩/٣ ، والتحرير والتنوير ١٢٩/٢٤ ، ويرى بعض المفسرين أن هذا الرجل هو مؤمن آل فرعون. انظر جامع البيان للطبري ٥٤٦/١٩، والنكت والعيون للماوردي ٢٤٤/٤، وتفسير الفخر الرازي ٥٨٧/٢٤.

٤ سورة القصص (الآية: ٢٠).

٥ انظر تفسير ابن كثير ٩٩/٤

هذا الرجل إسرائيلي؛ لأنه لا يقال : كتم منه أمر كذا ، وإنما يقال: كتمه، كقوله تعالى : (﴿ولا يكتمون الله حديثاً)﴾[٢]؛ ففي الآية في قصة مؤمن آل فرعون (﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه)﴾[٣] تكون على توجيه أنه إسرائيلي: أي رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون وهذا بعيد.٤، وقال صاحب التحرير والتنوير: (ووصفه بأنه من آل فرعون صريح في أنه من القبط ولم يكن من بني إسرائيل خلافا لبعض المفسرين ... والأظهر أنه كان من قرابة فرعون وخاصته لما يقتضيه لفظ " آل " من ذلك حقيقة أو مجازا)[٥] ، وقال الثعالبي[٦]- رحمه الله -في تفسيره: (قال مقاتل: كان هذا المؤمن ابن عم فرعون)[٧]، ثم قال الثعالبي: (قال الفخر: قيل إنه كان ابن عم لفرعون ، كان جاريا مجرى

---

١ هو: أبو علي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليماني، العلامة المجتهد، فقيه مفسر، ولد سنة ١١٧٣هـ، ترك المذهب الزيدي، ونصر السنة، ولي القضاء في صنعاء، ودرس بجامعها، كان يرى حرمة التقليد، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر ترجمته في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٢/٢١٤، والأعلام ٦/٢٩٨.

٢ سورة النساء (الآية: ٤٢).

[٣] سورة غافر (الآية: ٢٨).

٤ انظر تفسير الشوكاني ٤/٦٩٦.

[٥] تفسير التحرير والتنوير لأبن عاشور ١/ ٣٧٤٧.

[٦] هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، مفسر، من أعيان الجزائر، ولد سنة ٧٨٦هـ ، وتوفي سنة ٨٧٥هـ. انظر مقدمة تفسيره: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١/٩، والأعلام ٣/٣٣١.

[٧] تفسير الثعالبي ٤/ ٥٧٨.

ولي العهد له ، ومجرى صاحب السر له ، وقيل كان قبطيا من قوم فرعون ، وقيل إنه كان من بني إسرائيل ، والقول الأول أقرب)[١] .

***　　　***　　　* **

[١] تفسير الثعالبي ٤/ ٥٧٨ ، وانظر أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٧/٥٤.

<u>المبحث الثاني</u> : التحقيق في ذكر اسم هذا الرجل المؤمن

اختلف المفسرون في تحديد اسم هذا الرجل المؤمن؛ فقال الإمام القرطبي [١]– رحمه الله – : اسمه: (حبيب ، وقيل شَمْعان بالشين المعجمة، قال السهيلي : وهو أصح ما قيل فيه، وفي تاريخ الطبري رحمه الله : اسمه خَبْرَك، وقيل حِزْقيل ، ذكره الثعالبي عن ابن عباس ، وأكثر العلماء، وقال الزمخشري : واسمه سمعان أو حبيب وقيل : خَرْبيل أو حِزْبيل)[٢] وزاد ابن عاشور[٣] – رحمه الله – القول بأن من أهل العلم من ذكر أن اسمه : حبيب النجار [٤] ، وذكر ابن الجوزى[٥] – رحمه الله – خمسة أقوال في اسم مؤمن آل فرعون فقال : (وفي اسمه خمسة أقوال : أحدها : حزبيل؛ قاله ابن عباس ومقاتل . والثاني : حبيب؛ قاله كعب . والثالث : سمعون بالسين المهملة؛ قاله شعيب

---

١ هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، الأندلسي، من كبار المفسرين، رحل إلى المشرق، واستقر في مصر إلى أن توفي بها ٦٧١هـ. الديباج في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي تحقيق الدكتور محمد أبو النور مكتبة دار التراث ٣٠٨/٢، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقري تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر ١٩٦٨م ٢١٠/٢، والأعلام ٢١٧/٦.

٢ الجامع لأحكام القرآن ٣٠٦/١٥.

٣ هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد بها سنة١٢٩٦هـ وتوفي بها سنة ١٣٩٣هـ، عين عام (١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا، كان عضوا في المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. انظر شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره للدكتور بلقاسم الغالي دار ابن حزم ط أولى ١٤١٧هـ صـ٣٤.

٤ انظر التحرير والتنوير ١٢٩/٢٤.

٥ هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين، ابن الجوزي، الحنبلي، الإمام، العلامة ، الحافظ المفسر، صاحب التصانيف البديعة، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١، والعبر للذهبي ١١٨/٣.

الجبائي. والرابع : جبريل والخامس : شمعان بالشين المعجمة، رويا عن ابن إسحاق، وكذلك حكى الزجاج: شمعان بالشين، وذكره ابن ماكولا بالشين المعجمة أيضا . والأكثرون على أنه آمن بموسى لما جاء، وقال الحسن كان مؤمناً قبل مجئ موسى، وكذلك امرأة فرعون، قال مقاتل : كتم إيمانه من فرعون مائة سنة)[١]، ولعل في عدم التصريح باسم هذا الرجل المؤمن في القرآن مغزىً؛ وهو أن القرآن لا يُعنى بذكر الأسماء، أو الأشخاص، أو الأماكن، أو الأزمان؛ وإنما يعنى بإقامة الحجة وأخذ العبرة، ونفهم من عدم التصريح باسم هذا الرجل، الذي أشاد القرآن الكريم بذكره في هذه السورة: أن الدعاة والمصلحين ينبغي أن يهضموا نفوسهم، ويهملوا حظوظهم الدنيوية، وحب الظهور وترك " الأنا " في سبيل الدعوة، وإيصال الفكرة، وأخذ العبرة، فليس المهم أن يقال عن الداعية الفلاني: فعل وعمل وقال وتحدث؛ وإنما المهم البلاغ المبين، وإظهار الحق للمدعوين، وإقامة الحجة على الناس أجمعين، قال الثعالبي – رحمه الله – في تفسيره : (حكى الله سبحانه مقالة رجل مؤمن، من آل فرعون شرفه بالذكر، وخلد ثناءه في الأمم غابر الدهر، ثم نقل عن أحد السلف أنه سئل عن الصحابة؛ وهو على المنبر! فقال : فأطرق ثم رفع رأسه وأنشد[٢] :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

ماذا تريد من قوم قرنهم الله بنبيه , وخصهم بمشاهدة وحيه , وقد أثنى الله تعالى على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إيمانه وأسره فجعله تعالى في كتابه

---

[١] زاد المسير لابن الجوزي ٣٥/٤.

[٢] انظر تخريجه في صـ من هذا البحث

وأثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر ؟)[١] وقد سميت سورة غافر في بعض المصاحف بسورة "المؤمن" لذلك .

*** *** ***

المبحث الثالث : قصة مؤمن آل فرعون إجمالاً

تذكر مصادر التفسير أن هذا الرجل كان من آل فرعون؛ على الراجح من الأقوال السابقة، وبعضها يذكر أنه كان مقرباً من فرعون وصاحب سره، وأنه كان مؤمناً بالله ومصدقاً بما جاء به نبي الله موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – ولقربه من فرعون وملئه كتم إيمانه، ولم يبح به؛ حتى حانت اللحظة المناسبة، وأراد فرعون أن يقتل موسى، كما صور الله عز وجل ذلك الموقف بقوله تعالى – في شأن فرعون –: ﴿(ذروني أقتل موسى)﴾[٢]، فأخذت الرجل غَضْبة لله عز وجل، (وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) كما ثبت بذلك الحديث[٣] ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون[٤]، وقيل إنه لم يكن على دين موسى – عليه السلام – وإنما كان على التوحيد والفطرة قبل بعثة موسى – عليه السلام – قال ابن الجوزي – رحمه الله –: (قال الحسن كان مؤمناً قبل مجيء موسى، وكذلك امرأة فرعون، قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مئة سنة)[٥]، فعلى هذا الرأي يكون هذا الرجل المؤمن قيضه الله تعالى لإنقاذ موسى – عليه السلام – من شر فرعون وقومه، ولما انتهى هذا المؤمن من الدفاع عن موسى –عليه السلام في مجلس فرعون، وبلغ دعوته

---

[١] الجواهر الحسان للثعالبي ١١٢/٥.

[٢] سورة غافر (الآية: ٢٦).

[٣] انظر تخريجه في صـ من هذا البحث.

[٤] انظر تفسير ابن كثير ١٢٧/٧.

[٥] زاد المسير لابن الجوزي ٣٥/٤.

بالحكمة والموعظة الحسنة، جاء في آخر القصة أنه صرح لهم بإيمانه بموسى، وبرب موسى، وبما جاء به موسى؛ عند ذلك أراد فرعون قتله، فنجاه الله من كيد فرعون، فقيل إنه فر إلى جبل، فاتبعته طائفة من جند فرعون، فوجدوه يصلي، والوحوش حوله صفوفاً، فرجعوا مرعوبين منه، فقتلهم فرعون[١]، فرعون[١]، وقيل إن المؤمن لما انتهى من محاجة فرعون في مجلسه، وإبدائه للحق انتصارا لموسى عليه السلام تركهم، ثم طلبوه فلم يقدروا عليه، لأنه نجا مع موسى – عليه السلام – حين عبر البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿(فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بإل فرعون سوء العذاب)﴾[٢] أي الغرق[٣].

***　　　***　　　***

---

[١] انظر تفسير الفخر الرازي ٥٢١/٢٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٨/١٥، وتفسير البيضاوي ٥٩/٥.

[٢] سورة غافر (الآية: ٤٥).

[٣] انظر زاد المسير ٤٩/٤.

المبحث الرابع: الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون

١- منزلة الإيمان وأهميته:

أ- تدور قصة مؤمن آل فرعون – رضي الله عنه – حول منزلة الإيمان وأهميته، وأن هذا الرجل المؤمن كتم إيمانه مدة طويلة بلغت (١٠٠) عام، كما ذكر بعض المفسرين[١] ، ثم أعلن إيمانه عندما دعت الحاجة إلى ذلك، كما اشتملت الآيات القرآنية التي تنتظم القصة على معظم مباحث الإيمان: من (الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالكتب المنزلة، والإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر) وبعض المسائل المتعلقة بهذه المباحث، مما يعني أن القصة اشتملت على أركان الإيمان الستة؛ ما عدا الركن الثاني وهو: (الإيمان بالملائكة الكرام عليهم السلام) حيث لم يتم التصريح بذكره وإن كان مجموع القصة يدل عليه.

ب-والكلام على الإيمان يتطلب منا تعريفه، وبيان أركانه، فالإيمان في اللغة: التصديق[٢]، وقيل: الثقة، وقيل: الطمأنينة، وقيل: الإقرار، واختار الأخير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٣]، وأما الإيمان في الشرع – في معتقد أهل السنة والجماعة – فهو: قول باللسان واعتقادٌ

---

[١] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٧١١/٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٥/٤.

[٢] انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٥١٣ ، والصحاح للجوهري ٢٠٧١/٥ مختار الصحاح للرازي ص٥٠ مادة(أ م ن) وقال الفيومي: معنى (آمنت بالله: أسلمت له) فكأنه يعرف الإيمان في اللغة بالاستسلام. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢٤/١ مادة (أمن) ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ١/ ١١٧٦ مادة: (الأمن).

[٣] انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٢٢/٧، وزيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه لشيخا الدكتور عبد الرزاق البدر صـ ١٧.

بالجَنان[١] وعملٌ بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٢] ، وأركانه ستة، وهي الواردة في حديث جبريل المشهور: عندما سأل جبريل – عليه السلام – نبينا محمدا – صلى الله عليه وسلم – قائلا: أخبرني عن الإيمان؟ قال – صلى الله عليه وسلم –: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : " صدقت")[٣].

ومن دلائل هذه الفائدة العقدية: وصف الله – عز وجل – لهذا الرجل بالإيمان في ثلاث آيات من خلال هذه القصة الإيمانية ؛ وذلك بأسلوبين من أساليب الوصف:

الأول: أسلوب الجملة الاسمية التي تفيد سرا من أسرار البلاغة؛ ألا وهو: الثبوت والاستمرار، وجاء في آية واحدة، قال تعالى: ((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه))[٤]. ((مؤمن))، ((إيمانه)) مما يشير إلى كمال إيمانه، وثباته، ودوامه.

والثاني: أسلوب استعمال (الفعل) الذي يفيد سرا بلاغيا آخر؛ ألا وهو: الحدوث والتجدد، وذلك في آيتين كريمتين، قال الله تعالى: ((وقال الذي آمن يا قوم

---

[١] الجَنان بفتح الجيم: القلب. انظر مختار الصحاح للرازي ص١٢٨ مادة (ج ن ن).

[٢] انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تهذيب الدكتور خالد فوزي ١٥٩/١، و شرح السنة للبربهاري تعليق الدكتور ناصر العقل ٤/٣، ومجموع الفتاوى ١٥١/٣ ،وأيضا ٥٠٥/٧، ومسألة الإيمان دراسة تأصيلية للدكتور علي الشبل ٨/١، وزيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه لشيخا الدكتور عبد الرزاق البدر صـ ١٢١.

[٣] أخرجه الشيخان: الإمام البخاري برقم (٥٠) والإمام مسلم برقم (٩) وهذا لفظ الإمام مسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥٧/١.

[٤] سورة غافر الآية: (٢٨).

إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب))[١] ، وقال تعالى: ((وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد)) فكأن الفعل ((آمن)) يشير إلى تعاهد هذا الرجل لإيمانه والعمل على تجديده، كما ثبت ذلك عن السلف[٢]رضي الله عنهم.

ومن تلك الدلائل أيضا: تسمية السورة بسورة (المؤمن) لاشتمالها على قصة هذا المؤمن ، التي تضمنت أدلة النبوة ورفع الشبه عنها، والمواعظ والنصائح وسلامته من أعدائه ومكرهم، وهي من أعظم مقاصد القرآن، كما ورد تسميتها بسورة (غافر) وسورة (الطَّوْل) أيضا[٣].

ومن ذلك أيضا: أقوال أئمة التفسير المؤيدة لهذا المعنى، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: كان هذا الرجل صالحا، بارا، راشدا، وكان أحق بالملك من فرعون[٤]، وقال الشيخ أبو الثناء الآلوسي[٥] – رحمه الله –: قدم وصف الرجل

---

[١] سورة غافر الآية: (٣٠).

[٢] ومن ذلك قول معاذ بن جبل رضي الله عنه: (اجلس بنا نؤمن ساعة: يعني نذكر الله) وروي مثله عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه. أورده أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان صـ٤٤ ،قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة٣٦٨/١ برقم: (٧٩٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٠١٤/٥ برقم (١٧٠٦)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكرصـ ٣٢٨، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي ٨٠، وزيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه لشيخنا الدكتور عبد الرزاق البدر صـ ٢٢٥.

[٣] انظر تفسير القاسمي "محاسن التأويل" ٣٠٠/٨.

٤ انظر تفسير ابن كثير ١٢٨/٧.

[٥] هو: أبو الثناء محمود بن عبد الله ، شهاب الدين الحسيني الآلوسي: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، حيث ولد بها سنة ١٢١٧ هـ ، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم، ثم كانت وفاته ببغداد سنة ١٢٧٠هـ. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١٧٦/٧، وهدية العارفين أسماء المؤلفين

بالإيمان على وصفه بالكتم: أي بكتم إيمانه؛ لكون الإيمان أشرف الأوصاف[١]، كما وصفه الشيخ عبد الرحمن السعدي[٢] - رحمه الله - : بأنه رجل مؤمن موفق عاقل حازم[٣]، وقد استنبط بعض المفسرين٤من قوله تعالى - على لسان هذا المؤمن -: ((وأفوض أمري إلى الله))٥ ، و((فوقاه الله سيئات ما مكروا))٦ أن ذلك دليل قاطع يشهد بقوة إيمانه، وأنه أظهر هذا الإيمان وقت إسداء هذه النصائح لقومه٧، وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: (وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ عَنْ قَوْمِهِ الْقِبْطِ فَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ حِينَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى فَأَخَذَتِ الرَّجُلَ غَضْبَةٌ لِلَّهِ عز وجل (وأفضل الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) كَمَا ثَبَتَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ[٨])[١].

وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد البغدادي ٤١٨/٢، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٧٥/١٢.

١ انظر روح المعاني ١٧٦/٨، والتحريروالتنوير ١٥٠/٢٤.

[٢] هو: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي التميمي، ولد بعنيزة عام ١٣٠٧هـ ، عاش يتيما، وظهر ذكاؤه فتصدر للتدريس وعمره (٢٣) سنة، وله تصانيف مفيدة، كانت وفاته سنة ١٣٧٦هـ. انظر ترجمته في مقدمة تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥/١-٩، والأعلام للزركلي ٣٤٠/٣.

[٣] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٣٦/١.

[٤] انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٣٧/٦.

[٥] سورة غافر الآية: (٤٤).

[٦] سورة غافر الآية: (٤٥).

[٧] انظر جامع البيان للطبري ٣٩٤/٤١، وتفسير الماوردي "النكت والعيون" ١٥٩/٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٨/١٥، وفتح القدير للشوكاني ٥٦٧/٤.

[٨] رواه أبو داود في سننه برقم (٤٣٤٤) وابن ماجة في سننه برقم: (٤٠١١) والترمذي وقال: حسن غريب من هذا الوجه. انظر سنن الترمذي ٣٤٥/٨، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٨٨٦/١ برقم (٤٩١).

٢- جواز كتم الإيمان:

يجوز – في معتقد أهل السنة والجماعة – كتم المرء إيمانه إذا خاف على نفسه الهلاك، أو أشرف على الموت، كما لو كان يعيش مع قوم كفار؛ لا يسمحون له بإظهار إيمانه، قال الإمام البغوي – رحمه الله –: (إن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم؛ إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم، فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان؛ دفعاً عن نفسه، من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً، أو يُظهر الكفار على عورات المسلمين، وَالتَّقِيَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ خَوْفِ الْقَتْلِ وَسَلَامَةِ النِّيَّةِ)[٢] ، ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن بَطَّالٍ – رحمهما الله – أنه قال: (أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى الْكُفْرِ حَتَّى خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ الْقَتْلَ فَكَفَرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ)[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وَكَذَلِكَ الْكُفَّارُ: مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَارِ الْكُفْرِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَآمَنَ بِهِ، وَآمَنَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ؛ وَاتَّقَى اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ كَمَا فَعَلَ النَّجَاشِيُّ وَغَيْرُهُ، وَلَمْ تُمْكِنْهُ الْهِجْرَةُ إلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَا الْتِزَامُ جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ لِكَوْنِهِ مَمْنُوعًا مِنْ الْهِجْرَةِ، وَمَمْنُوعًا مِنْ إظْهَارِ دِينِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ جَمِيعَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ: فَهَذَا مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَمَا كَانَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ مَعَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَكَمَا كَانَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ؛ بَلْ وَكَمَا كَانَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَهْلِ مِصْرَ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا، وَلَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ مَعَهُمْ كُلَّ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ دَعَاهُمْ إلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ فَلَمْ يُجِيبُوه ... وَهَذَا يُطَابِقُ الْأَصْلَ الَّذِي عَلَيْهِ السَّلَفُ

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٦/٧.

[٢] تفسير البغوي ٢٦/٢

[٣] فتح الباري١٢/٣١٤

وَالْجُمْهُورُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا، فَالْوُجُوبُ مَشْرُوطٌ بِالْقُدْرَةِ، وَالْعُقُوبَةِ لَا تَكُونُ إلَّا عَلَى تَرْكِ مَأْمُورٍ، أَوْ فِعْلِ مَحْظُورٍ؛ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ)[١]؛ غير أن أهل العلم يرون أن من أكرهه المشركون على الكفر بالإهلاك والتنكيل، وصبر فله الشرف، ومن لم يصبر على ذلك التنكيل والإهلاك، فله الرخصة في التقيَّة والكتم؛ خلافا لمعنى التقية عند الرافضة[٢]، وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ – رحمه الله – قَوْلُهُ: (قِصَّةُ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَلَاسِيَّمَا هذه الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ بِالْإِهْلَاكِ الْعَظِيمِ الْأَوْلَى بِهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا خُوِّفَ مِنْهُ، وَأَنَّ إِظْهَارَ كَلِمَةِ الْكُفْرِ كَالرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ. وَرَوَى الْحَسَنُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ أَخَذَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَتَرَكَهُ، وَقَالَ لِلْآخَرِ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَا بَلْ أَنْتَ كَذَّابٌ فَقَتَلَهُ)[٣] فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا الَّذِي تَرَكَ فَأَخَذَ بِالرُّخْصَةِ فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ، وَأما الَّذِي قتل فَأخذ بالأفضل فهنيئاً لَهُ)[٤]. وبين ابن العربي –

---

[١] مجموع الفتاوى ٢١٧/١٩-٢١٩ (بتصرف).

[٢] انظر في الرد عليهم وبيان حقيقة التقية عندهم أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – للدكتور ناصر القفاري ٨٠٨/٢، ومصطلحات في كتب العقائد للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد صـ٢٥٥، والحركات الباطنية للدكتور محمد الخطيب ص٥٣، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور علي العواجي ٣٩٢/١

[٣] تفسير الفخر الرازي ١١٣/٣١

[٤]) أخرجه ابن أبي شيبة فِي " المُصَنّف " (٤٧٣/٦) حديث رقم: (٣٣٠٣٧) بِسَنَد رِجَاله ثِقَات، إِلَّا أَنه من مُرْسل عَن الْحسن.

وانظر الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشّنقيطي في تفسيره أضواء البيان لمحمود المنياوي ٣٤٩/١، والولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف لمحمد بن سعيد القحطاني صـ٣٧٣، و التكفير وضوابطه لمنقذ السقار صـ٩٦

رحمه الله – نوع الإلجاء والإكراه المبيح لكتم الإيمان وإظهار الكفر بقوله: (والإكراه المبيح لذلك هو أن يخاف على نفسه، أو بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمره به، فأبيح له في هذه الحال أن يظهر كلمة الكفر)[١].

ويشهد لهذه الفائدة من قصة هذا المؤمن:

تصريح القرآن الكريم بأن هذا الرجل المؤمن كتم إيمانه عن فرعون وملئه قال تعالى: ((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه))[٢]، وقد مر معنا سابقا قول بعض المفسرين أن مدة كتمان هذا المؤمن لإيمانه بلغت مئة عام[٣]، ونبه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على هذه الفائدة بقوله: (لَيْسَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِمَّا يُتَسَتَّرُ بِهِ إلَّا فِي بِلَادِ أَهْلِ الْبِدَعِ؛ مِثْلُ بِلَادِ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُسْتَضْعَفَ هُنَاكَ قَدْ يَكْتُمُ إيمَانَهُ وَاسْتِنَانَهُ [٤]؛ كَمَا كَتَمَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ إيمَانَهُ؛ وَكَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ، حِينَ كَانُوا فِي دَارِ الْحَرْبِ)[٥].

*** *** ***

٣- الإيمان بالأنبياء والرسل – عليهم السلام –:

---

[١] أحكام القرآن ١٣/٥.

[٢] سورة غافر الآية: ٢٨.

[٣] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٧١١/٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٥/٤

[٤] أي: اعتناقه مذهب أهل السنة.

[٥] مجموع الفتاوى ١٤٩/٤.

من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله – عليهم السلام – فهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، في إبلاغ وحيه للناس، وتحقيق توحيده، وإقامة شرعه[١]، فيجب الإيمان بهم جميعا، وعدم التفريق بين أحد منهم، قال تعالى: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) سورة البقرة (الآية: ٢٨٥)، ومعنى الآية: أن المسلمين من خصائصهم أنهم يؤمنون بجميع الرسل، ولا يكفرون بأحد منهم، ولا يفرقون بينهم في الإيمان؛ خلافا لليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعضهم[٢]، فالإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان الستة التي يتوقف الإيمان على الإقرار بها وتصديقها ، ودليل هذا الركن – وهو الركن الرابع من أركان الإيمان من السنة – ما مر معنا سابقا في حديث جبريل – عليه السلام[٣]. والمذكور من الأنبياء في هذه القصة: نبيان كريمان: أحدهما كليم الله موسى بن عمران من أولي العزم من الرسل – وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد – صلوات الله وسلامه عليهم[٤] ، والثاني: يوسف بن يعقوب – عليه السلام.

واختلف العلماء في المراد بيوسف المذكور في هذه القصة؛ فقيل هو يوسف بن يعقوب – عليهما السلام [٥]وقيل هو يوسف بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب

---

[١] انظر الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم للدكتور المرابط محمد يسلم المجتبى الشنقيطي صـ٩٦، وما بعدها.

[٢] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢٥/٣

[٣] انظر صـ

٤ انظر الرسل والرسالات للأشقر صـ١٧

[٥] انظر جامع البيان للطبري ٣٨٣/٢١، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٧/٤

- عليهم السلام [١]قال الفخر الرازي في تفسيره: (قِيلَ إِنَّ يُوسُفَ هَذَا هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَنَقَلَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ»[٢] أَنَّهُ يُوسُفُ بْنُ أَفْرَايِيمَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ أَقَامَ فِيهِمْ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقِيلَ إِنَّ فِرْعَوْنَ مُوسَى هُوَ فِرْعَوْنُ يُوسُفَ بَقِيَ حَيًّا إِلَى زَمَانِهِ وَقِيلَ فِرْعَوْنُ آخَرُ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْكُلِّ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَهو أَنَّ يُوسُفَ جَاءَ قَوْمَهُ بِالْبَيِّنَاتِ)[٣]، قال أبو المظفر السمعاني[٤] - رحمه الله -: (وَالصَّحِيح هُوَ الأول؛ لِأَنَّهُ أطلق ذكر يُوسُف، فَيَنْصَرِف إِلَى يُوسُف الْمَعْرُوف مثل إِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى وَغَيرهم، وَفِي الْقِصَّة: أَن الله تَعَالَى بعث يُوسُف بن يَعْقُوب إِلَيْهِم رَسُولا فَدَعَاهُمْ إِلَى الله تَعَالَى، وَمكث فيهم عشْرين سنة بعد وَفَاة يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام)[٥]

ومن دلائل هذه الفائدة العقدية من القصة:

التصريح بتكذيب أجداد فرعون وقومه برسالة يوسف - عليه السلام- قال تعالى: ((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا))[٦]، ومن شواهد هذه الفائدة أيضا: دعوة المؤمن قومه للإيمان بالنبي المرسل إليهم؛ ألا وهو: موسى بن عمران - عليه السلام - قال تعالى - مبينا مقالة هذا المؤمن -: ((أتقتلون

---

[١] انظر الكشاف للزمخشري ٤/١٦٦

[٢] يقصد: الزمخشري وتفسيره "الكشاف".

٣ تفسير الفخر الرازي ٢٧/٥١٣.

٤ هو: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعيّ، مفسر، من علماء الحديث، كان مفتي خراسان، ولد بمرو سنة٤٢٦هـ، وتوفي بها سنة ٤٨٩هـ. انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥/ ١٦٠، والأعلام ٧/٣٠٣.

[٥] تفسير السمعاني ٥/١٩، وانظر تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ٣/١١٦.

٦ سورة غافر الآية: ٣٤.

رجل أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم))[١]، إذن فهذا الرجل المؤمن وبخ فرعون وقومه على تكذيبهم للرسل من ناحيتين، وتكذيبهم لنبيين كريمين؛ حيث إن أجدادهم كذبوا نبي الله يوسف – عليه السلام– وهم الذين يخاطبهم مؤمن آل فرعون كذبوا نبيهم كليم الله موسى بن عمران – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – وهذه شنشنة[٢]معروفة عن أعداء الرسل ومكذبيهم[٣].

*** *** ***

٤- الإيمان بمعجزات الأنبياء – عليهم السلام–:

الذي ورد في القرآن الكريم إطلاق "الآيات" و"البينات" و"السلطان" و"البرهان" على معجزات الأنبياء الحسية والمعنوية ، ولم يظهر مصطلح "المعجزات" إلا في العصور المتأخرة؛ لكنه شاع في كتب العقيدة، ويرى بعض العلماء أن إطلاق المعجزات على آيات الأنبياء يترتب عليه خطأ في المفهوم، وخطأ في اللوازم، وخطأ في النظرة إلى المعجزة والكرامة والخوارق [٤].

فالمعجزة في اللغة:

---

[١] سورة غافر الآية: ٢٨.

[٢] الشنشنة: الغريزة، والعادة. انظر أساس البلاغة للزمخشري ٤٢٤/١ مادة: (ش ن ن).

٣ نظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٥٦/٩.

[٤] انظر شرح العقيدة الطحاوية للدكتور ناصر العقل١٠١/٦، والرسل والرسالات للأشقر صـ١٢١.

مشتقة من العجز وهو: عدم القدرة على الشيء، يقال: عَجَزَ الرجل عن الشيء يَعْجِزُ عَجْزا ومَعْجِزَة إذا ضعف عنه، ولم يقدر عليه، ومُعْجِزَةُ النبيِّ، صلى الله عليه وسلم: ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدِّي، والهاءُ للمُبالَغَة[1].

والمعجزة اصطلاحا:

هي أَمر خارق للعادة، يظهره الله على يد مدعى النُّبُوَّة؛ مَعَ تحديه قومه بهَا، وَمَعَ عجز قومه عَن الإتيان بِمثْلِهَا على وَجه يدل على صَدَقَة فى زمَان التَّكْلِيف [2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وَإِنْ كَانَ اسْمُ " الْمُعْجِزَةِ " يَعُمُّ كُلَّ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ فِي اللُّغَةِ وَعُرْفِ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَالْإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ وَيُسَمُّونَهَا: الْآيَاتِ – لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ يُفَرِّقُ فِي اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا فَيَجْعَلُ " الْمُعْجِزَةَ "لِلنَّبِيِّ وَ " الْكَرَامَةَ " لِلْوَلِيِّ وَجِمَاعُهُمَا الْأَمْرُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ، فَنَقُولُ: صِفَاتُ الْكَمَالِ تَرْجِعُ إلَى " ثَلَاثَةٍ ": الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْغِنَى)[3].

وأيد الله تعالى أنبياءه بأنواع كثيرة من المعجزات ؛ بيد أنه جمع لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيع أَنْوَاعِ " الْمُعْجِزَاتِ وَالْخَوَارِقِ ": أَمَّا الْعِلْمُ وَالْأَخْبَارُ الْغَيْبِيَّةُ وَالسَّمَاعُ وَالرُّؤْيَةُ فَمِثْلُ أَخْبَارِ هـ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ الْأَنْبِيَاءِ

---

[1] انظر مختار الصحاح صـ٣٨٥ مادة (ع ج ز) ، ولسان العرب لابن منظور مادة (عجز) ٥/٣٦٩، والمصباح المنير ٣٩٣/٢ مادة (عجز)، والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي مادة (العجز) ١/ ٥١٥.

[2] انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي صـ١٣٣.

[3] مجموع الفتاوى ٣١١/١١ وما بعدها ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر صـ٥٠٧ ، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي وضع حواشيه عبد الله الخليلي صـ١٠٥، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١٧٧/١، وانظر العقيدة برواية أبي بكر بن الخلال للإمام أحمد تحقيق عبد العزيز السريوان صـ٩٧.

الْمُتَقَدِّمِينَ وَأُمَمِهِمْ وَمُخَاطَبَاتِهِ لَهُمْ وبيان ما جرى بينهم وبين أممهم[1]. وآيات نبي الله موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – كثيرة منها: العصا، وَفَلْقُ الْبَحْرِ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، وغير ذلك، قال تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ))[2].

وقد تعددت معجزات الأنبياء – عليهم السلام – فما من نبي أو رَسُول من رسل الله تَعَالَى (إِلَّا وَقد كَانَ مؤيدا بمعجزة أَو معجزات كَثِيرَة تدل على صدقه، وَقد أخبر الله تَعَالَى عَن كثير مِنْهَا؛ فَذكر فِي قصَّة مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَام–: فلق الْبَحْر، وقلب الْعَصَا حَيَّة، وَالْيَد الْبَيْضَاء، وَفِي قصَّة دَاوُد وَسليمَان: تليين الْحَدِيد، وتسخير الرّيح وَالشَّيَاطِين والطيور وَجَمِيع دَوَاب الأَرْض فِي الْبر وَالْبَحْر، وَفِي قصَّة عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلَام –: إحْيَاء الْمَوْتَى، وإبراء الأكمه والأبرص، وَذكر فِي صفة الْمُصْطَفى – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – أَنه يَدْعُو مخالفيه إِلَى مُعَارضَة مَا أَتَى بِهِ من الْقُرْآن، أَو سُورَة مِنْهُ، فَقَالَ تَعَالَى ((فَأْتوا بِسُورَة من مثله))[3] فَكَانَ الْقُرْآن معْجزَة لَهُ قاهرة لأعدائه، إِلَى معجزات كَثِيرَة سواهَا ظَهرت على يَده بِخِلَاف الْعَادة مثل: تكليم الذِّرَاع، وتسبيح الْحَصَى فِي يَده، ونبوع المَاء من بَين أَصَابِعه، وحنين الْجذع عِنْد مُفَارقَته، وإجابة الشَّجَرَة عِنْد دَعوته، وإنشقاق الْقَمَر فِي وقته)[4].

---

[1] انظر مجموع الفتاوى ٣١١/١١ وما بعدها.

[2] سورة الإسراء (الآية: ١٠١).

[3] سورة البقرة (الآية: ٢٣).

[4] التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين لأبي المظفر الإسفراييني تحقيق كمال الحوت صـ١٦٩، وانظر كتاب أصول الدين لجمال الدين الغزنوي تحقيق د/ عمر الداعوق صـ١٢٢، وتنزيه الأنبياء عن ما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن السبتي تحقيق محمد رضوان الداية صـ٥٤.

وسنقتصر على بيان شيء من معجزات النبيين المذكورين في قصة مؤمن آل فرعون؛ ألا وهما: يوسف الصديق، وموسى الكليم – عليهما السلام.

أ- معجزات نبي الله يوسف – عليه السلام –:

فأما البينات، أو المعجزات التي أيد الله تعالى بها يوسف – عليه السلام – فقال بعض العلماء: إنما هي الدّلالات على التوحيد، كقوله تعالى: ((أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أم الله الواحد القهار))[1]، وقيل إنما المراد بتلك البيِّنات: تعبير الرُّؤيا، وشَقُّ القميص[2]، ورجح الفخر الرازي أن يكون المراد بالبينات المعجزات الحسية، فقال: (فِي الْمُرَادِ بِهَا قَوْلَانِ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَيِّنَاتِ قَوْلُهُ ((أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ))[3]، وَالثَّانِي: الْمُرَادُ بِهَا الْمُعْجِزَاتُ وَهَذَا أَوْلَى)[4]

ويرى بعض المفسرين أن المراد بتلك البينات: بينات تعبير رؤيا الملك البقرات السبع بالسنين[5]،[6].

---

[1] سورة يوسف (الآية: ٣٩).

[2] انظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٤/٤.

[3] سورة يوسف (الآية: ٣٩).

[4] انظر تفسير الفخر الرازي ٣١٢/١٥.

[5] رأى الملك في منامه أن سبع بقرات سمان قوية خرجت عليها سبع بقرات عجاف فأكلتها، وقد فسرها يوسف – عليه السلام – بأنه سيأتي على مصر سبع سنوات مخصبة، ثم تأتى سبع سنوات عجاف تأكل ثمر السنوات السبع المخصبة قال تعالى: «وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)) سورة يوسف (الآية: ٤٣).

[6] انظر تفسير مقاتل بن سليمان تحقيق عبد الله شحاته ٧١٣/٣ ،و تفسير العز ابن عبد السلام ١١٦/٣.

وفي تفسير التحرير والتنوير[١]: (وَالْبَيِّنَاتُ: إِخْبَارُهُ بِمَا هُوَ مَغِيبٌ عَنْهُمْ مِنْ أَحْوَالِهِمْ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤَى، وَكَذَلِكَ آيَةُ الْعِصْمَةِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا مِنْ بَيْنِهِمْ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِهَا امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، وَشَاهِدُ أَهْلِهَا حَتَّى قَالَ الْمَلِكُ: ((ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي))[٢] فَكَانَتْ دَلَائِلُ نُبُوءَةِ يُوسُفَ وَاضِحَةً؛ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَخْلِصُوا مِنْهَا اسْتِدْلَالًا يَقْتَفُونَ بِهِ أَثَرَهُ فِي صَلَاحِ آخِرَتِهِمْ، وَحَرَصُوا عَلَى الِانْتِفَاعِ بِهِ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِ دُنْيَاهُم)، وذكر بعض المفسرين نوعا آخر من معجزات نبي الله يوسف – عليه السلام – وهي: أنه قد مات لفرعون فرس سريع ونادر، وثمنه غال، فطلب من يوسف –عليه السلام – أن يدعو الله فأحياه الله، ومن ذلك أن الشمس كسفت فقام يوسف – عليه السلام – يدعو الله فزال كسوفها؛ بإذن الله تعالى[٣].

ب–معجزات نبي الله موسى – عليه السلام –:

وجدنا معظم المفسرين يقصرون تفسير "البينات" أي: معجزات موسى – عليه السلام – الواردة في هذه القصة على (العصا، واليد) وذكر الإمام العز بن عبد السلام[٤]– رحمه الله – رأيه في "البينات" المذكورة في هذه القصة عن موسى – عليه السلام؛ موضحاً أنها إما أن يكون المراد بها: الحلال والحرام في شريعة التوراة، وإما أن يراد بها العصا، واليد، والطوفان، والسنون ونقص من الثمرات، وغيرها من الآيات[٥]، وقال الإمام القرطبي – رحمه الله –:

---

[١] ١٣٨/٢٤.

٢ سورة يُوسُف (الآية: ٥٤).

٣ انظر غرائب القرآن للنيسابوري ٣٠/٦

[٤] هو: الإمام المحدث الأصولي الفقيه، عز الدين، ابن عبد السلام، السلمي، الشافعي، لقبه: سلطان العلماء لجرأته في إنكار المنكر على السلاطين، توفي سنة ٦٦٠هـ. انظر طبقات الشافعية لابن السبكي ٢٠٩/٨، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٠١/٥.

٥ انظر تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ١١٤/٣.

(وَالْبَيِّنَاتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ))[١] وَهِيَ الْعَصَا، وَالسُّنُونَ، وَالْيَدُ، وَالدَّمُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَفَلْقُ الْبَحْرِ، وَقِيلَ: الْبَيِّنَاتُ التَّوْرَاةُ، وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَاتِ)[٢].

ودلائل هذه الفائدة من القصة:

التعبير القرآني عن "المعجزات" بـ"البيِّنات"؛ وذلك في الحديث عن معجزات هذين النبيين الكريمين: موسى، ويوسف – عليهما السلام – قال تعالى في شأن معجزات نبي الله موسى – عليه السلام – ومؤمن آل فرعون يوبخهم في عزمهم على قتله – عليه السلام – رغم ما شاهدوا من معجزاته الحسية العجيبة: ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم))[٣]، ثم وبخهم المؤمن من ناحية أخرى؛ على أن تكذيب الأنبياء صفة راسخة فيهم؛ فذكَّرهم بأجدادهم الذين كذبوا نبي الله يوسف – عليه السلام – رغم إتيانه بالمعجزات والدلالات البينات من عند الله تعالى، قال عز وجل: ((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به))[٤].

***　　　***　　　***

---

١ سورة لإسراء (الآية: ١٠١).

٢ الجامع لأحكام القرآن ٣٠/٢.

٣ سورة غافر (الآية: ٢٨).

٤ سورة غافر (الآية: ٣٤).

٥- الهدى والضلال:

الهدى والضلال هما لب القدر[1]، ومعتقد أهل السنة والجماعة أن الهداية والضلال، والطاعة والمعصية بمشيئة الله، وأن الإنسان سبب في وقوعها، وهو المسؤول عن أفعاله،

وأن هداية الله لعبد وإضلاله لعبد آخر لحكمة يعلمها الله ويجهلها الخلق، قال تعالى: ((لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))[2]، وقال تعالى: ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً))٣، يقول العلامة ابن القيم – رحمه الله –: (هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومسائله؛ فإن أفضل ما يقدر الله لعبده، وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به، ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال، وقد اتفقت رسل الله؛ من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم؛، على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده؛ لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال، أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه)[4]وهذا هو القَدَر؛ الذي هو سر الله في خلقه، وأمرنا بالتسليم والإيمان به، كما قال علي بن أبي طالب – رضي

---

[1] انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم صـ٦٥ ، ومباحث العقيدة في سورة الزمر للدكتور ناصر الشيخ ص٥٣٤.

٢ سورة الأنبياء (الآية: ٢٣).

٣ سورة الأنعام (الآية: ١٢٥).

٤ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل صـ٦٥، وانظر بدائع الفوائد له أيضا ٣٥/٢.

الله عنه -: "القدر سر الله فلا نكشفه"[١]، فكل من الهداية والضلال (بِخَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ يُرِدْ هِدَايَتَهُ أَيْ: إِلْهَامَهُ وَتَوْفِيقَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، بِأَنْ يَقْذِفَ فِي قَلْبِهِ نُورًا، فَيَتَّسِعَ لَهُ، وَيَنْبَسِطَ؛ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، وَمَنْ يُرِدْ إِضْلَالَهُ وَخِذْلَانَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ فِي غَايَةِ الضِّيقِ وَالْحَرَجِ، فَلَا يَنْفُذُ إِلَيْهِ نُورُ الْإِيمَانِ، وشبَّه ذَلِكَ بِمَنْ يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)[٢].

أنواع الهداية:

وذكر أهل العلم أن الهداية في كتاب الله تعالى تنقسم إلى أربعة أنواع[٣]:

١-الهداية العامَّة

٢-هداية الدلالة والبيان، والإرشاد والتعليم

٣-هداية التوفيق والمعونة

٤-الهداية إلى الجَنَّة والنَّار يوم القيام

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله -: (مراتب الهدى والضلال في القرآن أربعة: إحداها: الهدى العام، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه، المرتبة الثانية: الهدى؛ بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهذا خاص بالمكلفين، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى، وأعم من الثالثة، المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء؛ وهي هداية التوفيق، ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى، وإرادته، والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا

---

١ انظر الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة صـ١٦٥، والعقل والنقل عند ابن رشد لمحمد أمان الجامي صـ١٠٢.

٢ شرح العقيدة الواسطية للهراس صـ١٠١، وانظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٤٠٨/١.

٣ انظر المفردات للراغب الأصفهاني ص٧٣٥ ، وفتح الباري للحافظ ابن حجر ٥١٥/١١.

الله عز وجل، المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار)[١]، وبين الراغب الأصفهاني[٢] – رحمه الله – التلازم بين أنواع الهداية قائلا: (وهذه الهدايات الأربع مترتّبة؛ فإنّ من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثّانية؛ بل لا يصحّ تكليفه، ومن لم تحصل له الثّانية لا تحصل له الثّالثة والرّابعة)[٣].

ومعلوم أن نوع الهداية المذكورة هنا في قصة مؤمن آل فرعون هي: هداية البيان والدلالة والإرشاد، وهي (المرتبة الثانية)في تقسيم العلامة ابن القيم أي: الهدى؛ بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهي خاصة بالمكلفين، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة[٤].

ومما يشهد لهذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون:

اشتمال هذه القصة العجيبة على آيات كثيرة نوهت بهذه القضية العقدية المهمة، وركزت على تجليتها؛ لأنها لب مسألة القدر – كما أشرنا إلى ذلك في حينه، فمن تلك الآيات: قوله تعالى: ((إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب))[٥]، وقوله تعالى: ((ومن يضلل الله فما له من هاد))[٦]، وقوله تعالى:

---

١ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل صـ٦٥، وانظر مدارج السالكين له أيضا ١/٢٧.

٢ هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، سكن بغداد واشتهر، حتى كان يقارن بالإمام الغزالي، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر الأعلام ٢/٢٥٥، ومعجم المؤلفين ٤/٥٩.

٣ المفردات في غريب القرآن تحقيق صفوان الداودي صـ٨٣٦.

٤ انظر شفاء العليل لابن القيم صـ٦٥، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة له أيضا ١/٨٥.

٥ سورة غافر (الآية: ٢٨).

((كذلك يضل الله من مسرف مرتاب))[2]، وقوله تعالى: ((كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار))[3]، وقوله تعالى: ((وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب))[4]، وقوله تعالى: ((وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد))[5].

*** *** ***

٦- تمويه أهل الكفر وتلبيسهم على أتباعهم:

كثيرا ما يعمد أهل الكفر والباطل إلى التمويه على أتباعهم، والادعاء بأنهم إنما يريدون الخير والهداية والرشاد لأتباعهم، ولا يريدون بنصحهم إلا الصراط المستقيم؛ مع أن أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم مناقضة لتلك الادعاءات، وهذه حيلة فرعونية سبق جميع أهل الكفر والشرك إليها الطاغية فرعون، فقد عدّ إفساده إصلاحاً، وكفره إيماناً، وطغيانه وجبروته هداية وتقى، وهكذا الدعاة إلى الباطل دوما، يدَّعون دعاوى باطلة، فيعمدون إلى التمويه على أتباعهم، فيسمون أعمالهم وأقوالهم، تارة حقاً، وتارة تقدمية، وتارة تجددية، وهم في ذلك كفرعون؛ بل هم عيون لفرعون الكافر بالله المدعي ما ليس له ((وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[6]، أي: ما أدلكم إلا على الهداية، والطريق السوي، والمذهب الحق، والدين الصواب، هكذا قال فرعون، وهو يكذب على نفسه، ((وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى))[7]، ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ))[1]، فلم يأتهم

---

[1] سورة غافر (الآية: ٣٣).

[2] سورة غافر (الآية: ٣٤).

[3] سورة غافر (الآية: ٣٥).

[4] سورة غافر (الآية: ٣٧).

[5] سورة غافر (الآية: ٣٨).

٦ سورة غافر (الآية:٢٩).

[7] سورة طه (الآية:٧٩).

بدليل يقبله عقل سليم، لم يأتهم إلا بالباطل والضلال والإفك، الذي لا يقبله أحد، وهكذا يقول أهل النفاق أيضا: ((يحلفون بالله إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا))[٢]، [٣]، وقال الشوكاني – رحمه الله – مبينا كفر فرعون وتلبيسه الحق بالباطل: (فَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنُ مَا قَالَهُ هَذَا الرَّجُلُ مِنَ النُّصْحِ الصَّحِيحِ، جَاءَ بِمُرَاوَغَةٍ يُوهِمُ بِهَا قَوْمَهُ أَنَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالرِّعَايَةِ بِمَكَانٍ مَكِينٍ، وَأَنَّهُ لَا يَسْلُكُ بِهِمْ إِلَّا مَسْلَكًا يَكُونُ فِيهِ جَلْبُ النَّفْعِ لَهُمْ، وَدَفْعُ الضُّرِّ عَنْهُمْ)[٤]، وقال الشيخ السعدي – رحمه الله –: (((قَالَ فِرْعَوْنُ)) معارضًا له[٥] في ذلك، ومغررًا لقومه أن يتبعوا موسى: ((مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ)) وصدق في قوله: ((مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى)) ولكن ما الذي رأى؟ رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسته، ولم ير الحق معه؛ بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنًا له، وكذب في قوله: ((وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ)) فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم باتباعه اتباعًا مجردًا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق وفي اتباع الحق، اتباع الضلال) [٦].

ومن دلائل هذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون:

---

[١] سورة الزخرف (الآية:٥٤).

[٢] سورة النساء (الآية:٦٢).

٣ انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٧١٢/٣، وتفسير القرآن الكريم لمحمد المنتصر الكتاني ٢٨٧/٣.

٤ فتح القدير للشوكاني ٥٦١/٤.

[٥] الضمير يعود لمؤمن آل فرعون الذي نصح لفرعون وملئه في رأيه؛ فعارضه فرعون بهذا التلبيس والادعاء.

[٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٣٦/١.

أن هذا المجلس الذي نصح فيه مؤمن آل فرعون لقومه، وذكَّرهم بالله تعالى، وبصدق نبيه موسى – عليه السلام – وبمعجزاته الحسية العجيبة التي شاهدوها عيانا، وبأيام الله التي أهلك فيها المكذبين من الأمم السالفة؛ عند ذلك لما سمع فرعون هذه الحجة الدامغة، والبرهان العظيم، أراد أن يُموِّه على أتباعه، ويُلبِّس عليهم، حين فطن لقوة حجة هذا المؤمن، فقال ما ذكره الله في القرآن الكريم: ((قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد))[١].

*** *** ***

٧- هلاك الأمم السابقة:

لقد قص الله سبحانه وتعالى علينا في القرآن الكريم كثيرا من قصص الأمم السابقة، وما حل بهم من العذاب، وكيف كانت نهاياتهم، وذلك من أجل أن نعتبر بحالهم، ونأخذ الحيطة والحذر من الوقوع في أسباب عذابهم، وهذا من مقاصد القرآن، قال تعالى: ((أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))٢، يقول العلامة ابن القيم – رحمه الله –: (وَتَأمل حكمته تعالى فِي عَذَاب الامم السالفة؛ بِعَذَاب الاستئصال لما كَانُوا أطول أعمارا، وأعظم قوى، وأعتى على الله وعَلى رَسُوله، فَلَمَّا تقاصرت الأعمار، وضعفت القوى، رفع عَذَاب الاستئصال، وَجعل عَذابهمْ بأيدي الْمُؤمنِينَ، فَكَانَت الْحِكْمَة فِي كل وَاحِد من الأمرين مَا اقتضته فِي وقته)٣، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وَقَدْ

---

[١] سورة غافر (الآية:٢٩).

[٢] سورة التوبة (الآية:٧٠).

[٣] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ١/٢٥٥.

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِمَا عَاقَبَ بِهِ أَهْلَ السَّيِّئَاتِ مِنْ الْأُمَمِ؛ كَقَوْمِ نُوحٍ؛ وَعَادٍ؛ وَثَمُودَ؛ وَقَوْمِ لُوطٍ؛ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ؛ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ: فِي الدُّنْيَا، وَأَخْبَرَ بِمَا يُعَاقِبُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ: ((يَا قَوْمِ إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ))١ ((مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ))٢ ((وَيَا قَوْمِ إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ))٣ ((يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ))٤ وَقَالَ تَعَالَى: ((كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ))٥، وَقَالَ: ((سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ))٦، وَقَالَ: ((وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))٧، وَقَالَ: ((فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ)) إلَى قَوْلِهِ: ((يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ))٨؛ وَلِهَذَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِي عَامَّةِ سُوَرِ الْإِنْذَارِ مَا عَاقَبَ بِهِ أَهْلَ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَذْكُرُ فِي السُّورَةِ وَعْدَ الْآخِرَةِ فَقَطْ؛ إذْ عَذَابُ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ؛ وَثَوَابُهَا أَعْظَمُ؛ وَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ)٩، وقد أهلك الله عز وجل هذه الْأَحْزَابِ ؛ وهي الطوائف الهالكة المذكورة في سياق قصة هذا المؤمن؛ بسبب تكذيبهم لأنبيائهم ؛ فقَوْمِ نُوحٍ كان جزاؤهم بالغرق، وَعاد بالريح

---

[١] سورة غافر (الآية: ٣٠).

[٢] سورة غافر (الآية: ٣١).

[٣] سورة غافر (الآية: ٣٢).

[٤] سورة غافر (الآية: ٣٣).

[٥] سورة القلم (الآية: ٣٣).

[٦] سورة التوبة (الآية: ١٠١).

[٧] سورة السجدة (الآية: ٢١).

[٨] سورة الدخان (الآيات: ١٦،١٥،١٤،١٣،١٢،١١).

٩ مجموع الفتاوى ١٣٩/٢٨، وانظر تفسير الثعالبي ١١٤/٥.

العقيم، وَثَمُود بالصيحة، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ؛ أي: من الأمم المكذبة، مما يدل على أن الهلاك سنة مستمرة لأهل التكذيب؛ ((وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ))[1] أي: فلا يعاقبهم بغير ذنب[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبينا الحكمة في مجيئ القرآن الكريم بقصص الأمم الهالكة –: (وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم؛ لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مِنْ الْمُتَقَدِّمِين)[3]

وكان الإمام سفيان بن عيينة[4]– رحمه الله – يستحسن[5] قول عدي بن زيد[6]:

أين أهل الدّيار من قوم نوح ... ثم عادٌ من بعدها وثمودُ

بينما هم على الأسرّة والأنمـ ... ـاط أفضت إلى التراب الخدودُ

وصحيح أمسى يعود مريضا ... وهو أدنى للموت ممن يعودُ

---

[1] سورة غافر (الآية: ٣١).

[2] انظر تفسير القاسمي٨/٣٠٨.

[3] مجموع الفتاوى ٢٨/٤٢٥.

[4] هو: أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، كان إماما، حجة، زاهدا، ورعا، مجمعا على إمامته، وصحة حديثه، توفي سنة ١٢٦هـ. انظر تهذيب التهذيب ٤/١١٧، ووفيات الأعيان ٢/٣٩١.

٥ انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/١٣٨.

٦ هو: علي بن زيد حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين، يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، ثم تزوج هندا بنت النعمان ابن المنذر ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة سنة ٣٥ ق.هـ. انظر خزانة الأدب للبغدادي ١/١٨٤، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي تحقيق علي البجادي صـ١٠٢، والأعلام ٤/٢٢٠.

ثم لم ينقض الحديث ولكن بعد ذا كلّه وذاك الوعيدُ [١].

*** *** ***

وشاهد هذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون:

قوله تعالى – في هذه القصة العجيبة –: ((وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد)) [٢].

*** *** ***

٨- نفي الظلم عن الله تعالى:

لما كانت حقيقة الظلم هي: وضع الشيء في غير موضعه ، ولما كانت هذه الصفة من صفات النقص؛ فقد نزه الله سبحانه وتعالى نفسه المقدسة عن الظلم، قال تعالى: ((إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها)) [٣]، وقال عز وجل : ((وما ربك بظلام للعبيد)) [٤] ؛ ولهذا حرم ربنا عز وجل الظلم على نفسه ، ونهى الخلق عنه، فقال تعالى – في الحديث القدسي –: (يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا ...) [٥]، قال الإمام النووي – رحمه الله – في شرحه: (قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ: تَقَدَّسْتُ عَنْهُ، وَتَعَالَيْتُ، وَالظُّلْمُ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كَيْفَ يُجَاوِزُ سُبْحَانَهُ حَدًّا، وَلَيْسَ فَوْقَهُ مَنْ يُطِيعُهُ؟ وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ فِي غَيْرِ مُلْكٍ وَالْعَالَمُ كُلُّهُ

---

١ انظر ديوانه تحقيق محمد جبار المعيبد صـ١٢٢، ورواية الديوان للعجز من البيت الأخير: *بعد ذا الوعدُ كله والوعيدُ*

٢ سورة غافر (الآيتان: ٣٠،٣١).

٣ سورة النساء (الآية: ٤٠).

٤ سورة فصلت (الآية: ٤٦).

٥ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم:(٢٥٧٧).

فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ؟ وَأَصْلُ التَّحْرِيمِ فِي اللُّغَةِ: الْمَنْعُ؛ فَسَمَّى تَقَدُّسَهُ عَنِ الظُّلْمِ تَحْرِيمًا لِمُشَابَهَتِهِ لِلْمَمْنُوعِ فِي أَصْلِ عَدَمِ الشيء)[١]، وقال الإمام البربهاري[٢] – رحمه الله –: (واعلم أنه لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله، ولا يعذب الله أحدا إلا بذنوبه، بقدر ذنوبه، ولو عذب الله أهل السماوات وأهل الأرضين بَرَّهم وفاجرهم، عذبهم غير ظالم لهم، لا يجوز أن يقال لله تبارك وتعالى: إنه يظلم، وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له، والله جل ثناؤه له الخلق والأمر، الخلق خلقه، والدار داره، لا يسأل عما يفعل بخلقه، ولا يقال: لم؟ وكيف! لا يدخل أحد بين الله وبين خلقه)[٣].

وفي قوله تعالى – هنا في قصة هذا المؤمن حين أشار إلى هلاك الأمم السالفة: قوم نوح، وعاد، وثمود، والذين من بعدهم –: ((وما الله يريد ظلما للعباد))[٤]، يوضح أنَّ إِهْلَاكَ الله لهذه الأمم كَانَ عَدْلًا مِنْهُ، وَفِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي نَفْيِ الظُّلْمِ عنه – جل وتقدس – حَيْثُ عَلَّقَهُ بِالْإِرَادَةِ؛ فَإِذَا نَفَاهُ عَنِ الْإِرَادَةِ، كَانَ نَفْيُهُ عَنِ الفعل والْوُقُوعِ أَوْلَى وَأَحْرَى[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:(وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ الْقَوْلُ الْمُتَوَسِّطُ وَهُوَ: أَنَّ الظُّلْمَ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ مِثْلَ: أَنْ يَتْرُكَ حَسَنَاتِ الْمُحْسِنِ فَلَا يَجْزِيهِ بِهَا؛ وَيُعَاقِبَ الْبَرِيءَ عَلَى مَا

---

١ صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٢/١٦.

٢ هو: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري– نسبة إلى أدوية كانت تجلب من الهند – شيخ الحنابلة في وقته، من أهل بغداد، ولد سنة ٢٣٣هـ، كان شديد الإنكار على أهل البدع، بيده ولسانه ،كثر مخالفوه فأوغروا عليه قلب السلطان، فنودي ببغداد: لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان! واستتر البربهاري فمات في مخبأه سنة ٣٢٩هـ. انظر الأنساب للسمعاني ٢ / ١٢٥، والأعلام ٢٠١/٢.

٣ شرح السنة صـ٧١ ، وانظر مدارج السالكين لابن القيم ٤٠٨/١.

٤ سورة غافر (الآية: ٣١).

٥ انظر تفسير البحر المحيط ٢٥٥/٩، وتفسير الخازن ٧٣/٤.

لَمْ يَفْعَلْ مِنْ السَّيِّئَاتِ؛ وَيُعَاقِبَ هَذَا بِذَنْبِ غَيْرِهِ؛ أَوْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِغَيْرِ الْقِسْطِ؛ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي يُنَزَّهُ الرَّبُّ عَنْهَا لِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ لِأَنَّهُ تَرَكَ هَذَا الظُّلْمَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ؛ فَهُوَ أَيْضًا مُنَزَّهٌ عَنْ أَفْعَالِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ)[١].

وقد اعتمدت المعتزلة[٢]على الاستدلال بهذه الآية؛ للتأصيل لشبهتهم في نفي خلق أفعال العباد لله تعالى[٣].

وشاهد هذه الفائدة من القصة:

ما جاء في سياق الآيات؛ من قوله تعالى: ((وما الله يريد ظلما للعباد))[٤].

*** *** ***

٩- الإيمان باليوم الآخر:

---

١ مجموع الفتاوى ١٤٤/١٨ وما بعدها، وانظر تفسير مكي بن أبي طالب ٦٤٢٦/١٠ ، وتفسير ابن كثير١٢٩/٧.

[٢] المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وقويت شوكتها في عصر المأمون؛ حيث ناصرها ووقف معها ضد أهل السنة. انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعواد المعتق صـ١٤، واليمانيات المسلولة على الرافضة المخذولة صـ١٤٥.

[٣] انظر الرد عليهم في خلق أفعال العباد للإمام البخاري صـ ٥٣، وتفسير النيسابوري ٣٥/٦، وتفسير الرازي٥١١/٢٧، ومدارج السالكين لابن القيم ٤٠٨/١ ، ورسالة في القضاء والقدر لابن عثيمين صـ١٤.

[٤] سورة غافر (الآية: ٣١).

الإيمان باليوم الآخر، أو"القيامة" ويطلق عليه: "القيامة الكبرى" للتفريق بينه وبين "القيامة الصغرى" التي يراد بها الموت[١]؛ ركن من أركان الإيمان الستة؛ التي يتوقف الإيمان على الإقرار بها وتصديقها، كما قال تعالى :((لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ))[٢]، وقال تعالى: ((وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا))[٣]، وقال عز وجل: ((بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))[٤]، ودليله من السنة: ما مر معنا في حديث جبريل – عليه السلام – عندما سأله عن الإيمان، فقال – صلى الله عليه وسلم–: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر؛ خيره، وشره)[٥]، واتفقت عليه أدلة: الكتاب والسنة والعقل والفطرة، يقول ابن أبي العز الحنفي[٦] – رحمه الله –: (الْإِيمَانُ بِالْمَعَادِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَة، فَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ فِي كِتَابِه الْعَزِيزِ، وَأَقَامَ الدَّلِيلَ عليه، وَرَدَّ على المُنْكِرين، فِي غَالِبِ سُوَرِ الْقُرْآنِ)[٧]، وفي بيان سبب تسمية هذا اليوم بـ"اليوم

---

١ انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة صـ ٥٤٨ ، والقيامة الكبرى للأشقر صـ ١٧ ،والقيامة الصغرى له أيضا صـ ١١.

٢ سورة البقرة (الآية: ١٧٧).

٣ سورة النساء (الآية: ١٣٦).

٤ سورة الأعلى (الآيتان: ١٦، ١٧).

٥ سبق تخريجه. انظر صـ

٦ هو: العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي ولد سنة ٧٣١هـ، وتوفي سنة ٧٩٢هـ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر ٨٧/٣، والأعلام ٣١٣/٤.

٧ شرح العقيدة الطحاوية ، طبعة وزارة الأوقاف السعودية صـ٤٠١.

الآخر" يقول الحافظ ابن حجر[1] – رحمه الله –: (وَأَمَّا الْيَوْمُ الْآخِرُ؛ فَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ آخِرُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَوْ آخِرُ الْأَزْمِنَةِ الْمَحْدُودَةِ، وَالْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ بِهِ: التَّصْدِيقِ بِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ)[2].

ولليوم الآخر أسماء كثيرة[3]؛ منها: "يوم التناد" – بتخفيف الدال وتشديدها – المذكور هنا في قصة مؤمن آل فرعون ؛ أما بالتخفيف ؛ فمعناه: نداء الناس بعضهم بعضا للاستغاثة، وأما بالتشديد؛ فهو من نَدَّ إذا ذهب، يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – في المراد بيوم التناد: (وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

وَبَثَّ الْخَلْق فِيهَا إِذْ دَحَاهَا ... فَهُمْ سكانها[4] حَتَّى التَّنَادِي

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمُنَادَاةِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، فَيُنَادِي أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ، وَيُنَادِي أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّار ((أَنْ قَدْ وَجَدْنا مَا وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا))[5]، وَيُنَادِي أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ: ((أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا

---

١ هو: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين الكناني العسقلاني الإمام الحافظ، من أشهر العلماء، ولي قضاء مصر، ثم اعتزل، توفي بالقاهرة ٨٥٢هـ. انظر الدرر الكامنة له ٤/٤٩٢، والأعلام ١/١٧٨.

٢ انظر فتح الباري ١/١١٨.

[3] وكل ما عظم شأنه وتعددت صفاته كثرت أسماؤه، وهذا أصل في كلام العرب، فـ"السيف" مثلا لما عظم عندهم شأنه وتأكد نفعه جمعوا له خمس مئة اسم، فكذلك القيامة لما عظم أمرها، واشتد خطرها وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة. انظر التذكرة للقرطبي صـ ٥٤٤، وأشار ابن حجر إلى أنها بلغت خمسين اسما. انظر فتح الباري١١/٣٩٦.

[4] انظر ديوانه تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي صـ٣٨٣ وروي بدلا من "سكانها" "قُطَّانها" أي: قاطنوها، والمعنى واحد.

[5] سورة الأعراف (الآية: ٤٤).

مِنَ الْماءِ))[١]، وَيُنَادِي الْمُنَادِي أَيْضًا بِالشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ: (أَلَا إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ قَدْ شَقِيَ شَقَاوَةً لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَلَا إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ قَدْ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا)[٢]، وَهَذَا عِنْدَ وَزْنِ الْأَعْمَالِ، وَتُنَادِي الْمَلَائِكَةُ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ: ((أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))[٣]، وَيُنَادَى حِينَ يُذْبَحُ الْمَوْتُ: (يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ)[٤]وَيُنَادَى كُلُّ قَوْمٍ بِإِمَامِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّدَاءِ)[٥].

وفي ذم الدنيا والترغيب في الآخرة قال - صلى الله عليه وسلم-: (الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر)[٦]، وفي ذم الدنيا، والتحذير منها، والاستعداد للآخرة، يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -: (الآيات الواردة في ذم الدنيا، وأمثلتها كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا، وصرف الخلق عنها، ودعوتهم إلى الآخرة؛ بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يبعثوا إلا لذلك)[٧].

ومن الدلائل على هذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون:

ما سرده مؤمن آل فرعون، من الحجج التي عرضها على فرعون وملئه؛ لتخويفهم من عذاب الله؛ مركزا في هذا التخويف على تحذيرهم من الاغترار

---

١ سورة الأعراف (الآية: ٥٠).

٢ رواه ابن المبارك في زوائد الزهد صـ ١١٠برقم: (٣٧٢) وأرده الإمام القرطبي أيضا في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ٤٦٣/١ برقم: (٧٥٣).

٣ سورة الأعراف (الآية: ٤٣).

٤ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم: (٢٨٤٩) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨٤/١٧.

٥ الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٥، وانظر التذكرة له أيضا صـ ٥٥٧.

٦ أخرجه الإمام مسلم برقم: (٢٩٥٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٩٣/١٨.

٧ إحياء علم الدين صـ٦٤٩.

بالدنيا، وما هم فيه من ملك وقوة، وأن الله سيحاسبهم على أعمالهم يوم القيامة، قال تعالى – ذاكرا كلام المؤمن–: ((يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الدار الآخرة هي دار القرار))[١]، وقال تعالى: ((ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم))[٢]، وقال تعالى: ((ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب))[٣]، وقال تعالى: ((لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله))[٤]، وقال تعالى: ((فستذكرون ما أقول لكم))[٥]، ولهذا نبه العلامة ابن رجب الحنبلي[٦] – رحمه الله – على تكار مؤمن آل فرعون تحذير قومه من الاغترار بالدنيا وتضييع أمر الآخرة، فقال: (وقالَ اللَّهُ تعالى عن مؤمن آل فرعونَ إنّه قال لقومِه: ((يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ))[٧]، والمتَاعُ: هو ما يتمتَع به صاحبُه برْهَةً ثم ينقطِعُ ويفنَى، فما عِيبَتِ الدُّنيا بأبلغَ من ذكر فنائها وتقلُّبِ أحوالِهَا، وهو أدل دليل على انقضائها وزوالِهَا، فتتبدَّل صحتُها بالسُّقم، ووجودُها بالعدمِ، وشبيبتُها بالهرَمِ، ونعيمهَا بالبؤسِ، وحياتُها بالموتِ، فتفارِقُ

---

١ سورة غافر (الآية: ٣٩).

٢ سورة غافر (الآيتان: ٣٢ ، ٣٣).

٣ سورة غافر (الآية: ٤٠).

٤ سورة غافر (الآية: ٤٣).

٥ سورة غافر (الآية: ٤٤).

٦ هو: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ، ثم الدمشقي الحافظ الفقيه المحدث، ولد ببغداد سنة ٧٣٦هـ، ونشأ بها، وتوفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ. انظر شذرات الذهب ٦/٣٣٩، والأعلام ٣/٢٩٥.

٧ سورة غافر (الآية: ٣٩).

الأجسامُ النفوسَ، وعمارتُها بالخراب، واجتماعها بفرقةِ الأحبابِ، وكُلُّ ما فوق التُّرابِ تراب)[1].

*** *** ***

١٠- الإيمان بالجنة٢ والنار:

ومن مباحث الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنة التي أعدها الله للمتقين، والنار التي أعدها للكافرين، وأنهما مخلوقتان، ومعدتان لأهلهما، وأنهما موجودتان الآن، لا تفنيان ولا تبيدان، يقول الإمام البربهاري –[3] رحمه الله – : (والإيمان بأن الجنة والنار حق، وأنهما مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى، وهما مخلوقتان، قد علم

---

١ روائع التفسير لابن رجب ٢/٢٢٧,

٢ قال ابن القيم – في وصف الجنة، وأنها كانت مسكن أبينا آدم وأمنا حواء – عليهما السلام–:

وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزل لك يعلمُ
فحَيَّ على جنَّات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبي العدو فهل تُرى نُعود إلى أوطاننا ونُسلَّم

انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص١١.

٣ وعن مكان النار الآن: فقد اختلف العلماء في تحديد موقعها الآن فقال بعضهم: هي في الأرض السفلى، وقال آخرون: هي في السماء، وقال آخرون بالتوقف في ذلك، وهو الصواب لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها، وممن قال بالتوقف: الحافظ السيوطي، والشيخ ولي الله الدهلوي، والشيخ صديق حسن خان، والدكتور عمر الأشقر. انظر الجنة والنار للأشقر صـ ٢١.

الله تعالى عدد أهل الجنة، ومن يدخلها، وعدد أهل النار، ومن يدخلها، لا تفنيان أبداً، بقاؤهما مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين، ودهر الداهرين)[١].

ومن الشواهد على هذه الفائدة العقدية من القصة:

ما ورد في سياق القصة؛ من ترغيب هذا المؤمن قومه في الإيمان بالله، وتشويقهم بنعيم الجنة، في قوله تعالى: ((من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب))[٢]، كما حذر مؤمن آل فرعون قومه من عواقب الكفر بالله وبرسله، وهي دخول النار وملابسة أشد العذاب، فقال تعالى: ((ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار))[٣]، وقال تعالى: ((وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار))[٤]،وقال تعالى: ((فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب))[٥]، كما نبه على هذه الفائدة شارح العقيدة الطحاوية – ومثله ابن رجب الحنبلي فيما سبق– بقوله: (بَلْ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ كَانَ يَعْلَمُ الْمَعَادَ، وَإِنَّمَا آمَنَ بِمُوسَى، قَالَ تَعَالَى حِكَايَة عَنْهُ: {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

---

١ شرح كتاب السنة للبربهاري شرح الدكتور عبد العزيز الراجحي ٦/٤ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين ٦٦/٣، و الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة صـ ١٣، والجنة والنار للأشقر صـ١١.

٢ سورة غافر (الآية: ٤٠).

٣ سورة غافر (الآية: ٤١).

٤ سورة غافر (الآية: ٤٣).

٥ سورة غافر (الآيتان: ٤٥ ، ٤٦).

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}، إلى قوله: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} إِلَى قَوْلِهِ: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ})[١].

*** *** ***

١١- أصناف أهل الجنة والنار:

أ- من أصناف أهل الجنة:

أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون الذين يعملون الصالحات مع اخلاص عظيم لله عز وجل واستقامة على شريعته، ووفاء بعهودهم وعدم نقضهم لها ووصلهم ما أمر الله بوصله، وخشيتهم لله وخوفهم من سوء العذاب، وصبرهم لله وإقام الصلاة، والانفاق سراً وعلانية، ودرئهم بالحسنة السيئة قال تعالى: ((أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ))[٢]، [٣]، وفي الصحيحين أنه – صلى الله عليه وسلم – قال:(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)[٤]، فمن أصناف أهل الجنة: كل

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية طبعة الأوقاف السعودية صـ٤٠٣.

[٢] سورة الرعد (الآيات: ١٩ ـ ٢٤).

٣ انظر اليوم الآخر للدكتور علي الصلابي صـ ٣٠٥.

[٤] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم:(٨١١١) والإمام مسلم في صحيحه برقم: (٢٨٥٣).

مؤمن ضعيف متواضع؛ ولهذا عقد الإمام مسلم في صحيحه باباً عنوانه: " باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء "[١].

ب–من أصناف أهل النار:

من أهل النار من هم خالدون فيها مخلَّدون، لا يرحلون عنها ولا يبيدون – وهم – والعياذ بالله – الكفرة والمشركون، قال جل وعلا: ((والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون))[٢]، [٣]، ومن أصناف أهل النار: الدعاة إليها قال تعالى: ((وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار))[٤]، فهؤلاء الذين يدعون أقوامهم وأتباعهم إلى النار في الدنيا يقودونهم إلى النار في الآخرة، ففرعون الطاغية: ((يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار))[٥]، وكل قادة الشر الذين يدعون إلى عقائد ومبادئ مخالفة للإسلام هم دعاة إلى النار؛ لأن الطريق الوحيد الذي ينجي من النار ويدخل الجنة هو طريق الإيمان، كما قال المؤمن في هذه القصة: ((ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار))[٦] ، كانوا يدعونه إلى فرعون وكفره وشركه، وهو يدعوهم إلى الله وتوحيده والإيمان به.[٧]، ومن أصناف أهل النار: الجبارون والمتكبرون، ومصداق ذلك: قوله تعالى: ((أليس في جهنم مثوى للمتكبرين))[٨]، وَقَالَ –

---

١ انظر صحيح مسلم بشرح النووي: (٢١٨٦/٤) حديث رقم: (٢٨٤٦).

٢ سورة الأعراف (الآية: ٣٦).

٣ انظر الجنة والنار للأشقر صـ٤٩.

٤ سورة القصص (الآية: ٤١).

٥ سورة هود (الآية: ٩٨).

٦ سورة غافر (الآية: ٤١).

٧ انظر الجنة والنار للأشقر صـ٥٣، ومجموع الفتاوى ٢٠٥/١.

٨ سورة الزمر (الآية: ٦٠).

صلى الله عليه وسلم -: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ؛ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ[١] جَوَّاظٍ[٢] مُسْتَكْبِرٍ)[٣].

ومما يشهد لهذه الفائدة من القصة:

ورد في القصة ذكر صنف من أصناف الجنة، وهم المؤمنون والمؤمنات الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ((ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب))[٤]، كما اشتملت القصة أيضا على صنف من أهل النار، وهم: المسرفون، أي: المستكثرون من معاصي الله تعالى، وقيل المشركون، وقيل: هم السفهاء السفاكون للدماء بغير حق، وقيل: هم الجبارون والمتكبرون[٥]، قال تعالى - في شأن الصنف من أهل الجنة -: ((ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب))[٦]، وقال عز وجل في صنف أهل النار: ((وأن المسرفين هم أصحاب النار))[٧].

*** *** ***

١٢- جحود فرعون للصانع:

---

١ العُتُلُّ، بضمتينِ مُشَدَّدَةَ اللامِ: الأكولُ المَنيعُ الجافي الغليظُ. انظر القاموس المحيط ١٠٢٩/١ مادة: (العتلة).

٢ الجَوَّاظ: الكافر الضخم المتكبر. انظر تهذيب اللغة ١١٣/١١، مادة: (جوظ).

٣ سبق تخريجه. انظر صـ.

٤ سورة غافر (الآية: ٤٠).

٥ انظر فتح القدير للشوكاني ٥٦٦/٤، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة صـ٨٠٢.

٦ سورة غافر (الآية: ٤٠).

٧ سورة غافر (الآية: ٤٣).

اقتضت الفطرة لدى بني آدم إثبات وجود الرب سبحانه وتعالى، والإقرار بأنه الخالق؛ ولم ينكر وجوده جل وعلا إلا بعض شواذ البشر، ومنهم فرعون، كما ورد في هذه القصة، قال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله –: (وَذَلِكَ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَإِنَّ الْإِقْرَارَ بِالرَّبِّ عَامٌّ فِي بَنِي آدَمَ، وَهُوَ فِطْرِي، كُلُّهُمْ يُقِرُّ بِالرَّبِّ، إِلَّا مَنْ عَانَدَ، كَفِرْعَوْنَ)[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (ذَكَرَ اللَّهُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ اسْتِكْبَارِهِمْ وَجُحُودِهِمْ مُشْرِكِينَ فَقَالَ عَنْ مُؤْمِنِ آلَ فِرْعَوْنَ: ((وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ)) ((تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ)) الْآيَةَ...فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ قَوْمُ فِرْعَوْنَ مُشْرِكِينَ؟ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ جَحَدَ الْخَالِقَ فَقَالَ: ((وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)) وَقَالَ: ((مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِي)) وَقَالَ: ((أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} وَقَالَ عَنْ قَوْمِهِ: ((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)) ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)) وَالْإِشْرَاكُ لَا يَكُونُ إلَّا مِنْ مُقِرٍّ بِاَللَّهِ وَإِلَّا فَالْجَاحِدُ لَهُ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ. قِيلَ: لَمْ يَذْكُرْ اللَّهُ جُحُودَ الصَّانِعِ إلَّا عَنْ فِرْعَوْنَ مُوسَى وَأَمَّا الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ يُوسُفَ فَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِاَللَّهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ وَلِهَذَا كَانَ خِطَابُ يُوسُفَ لِلْمَلِكِ وَلِلْعَزِيزِ وَلَهُمْ: يَتَضَمَّنُ الْإِقْرَارُ بِوُجُودِ الصَّانِعِ كَقَوْلِهِ: ((أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ))...وَقَدْ قَالَ مُؤْمِنُ آلَ – حم – ((وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا)) فَهَذَا يَقْتَضِي: أَنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ بُعِثَ إلَيْهِمْ يُوسُفُ كَانُوا يُقِرُّونَ بِاَللَّهِ... وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ مُوسَى: ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ)) وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُمْ – دُونَ الْفَرَاعِنَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ –؛ ((مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِي)) ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ

---

١ شرح العقيدة الطحاوية صـ٤٠١.

ذَلِكَ: ((أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)) ((فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)) نَكَالَ الْكَلِمَةِ الْأُولَى. وَنَكَالَ الْكَلِمَةِ الْأَخِيرَةِ وَكَانَ فِرْعَوْنُ فِي الْبَاطِنِ عَارِفًا بِوُجُودِ الصَّانِعِ وَإِنَّمَا اسْتَكْبَرَ كإبليس وَأَنْكَرَ وُجُودَهُ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ مُوسَى: ((لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)) فَلَمَّا أَنْكَرَ الصَّانِعَ وَكَانَتْ لَهُ آلِهَةٌ يَعْبُدُهَا بَقِيَ عَلَى عِبَادَتِهَا وَلَمْ يَصِفْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالشِّرْكِ وَإِنَّمَا وَصَفَهُ بِجُحُودِ الصَّانِعِ وَعِبَادَةِ آلِهَةٍ أُخْرَى. وَالْمُنْكِرُ لِلصَّانِعِ مِنْهُمْ مُسْتَكْبِرٌ كَثِيرًا مَا يَعْبُدُ آلِهَةً؛ وَلَا يَعْبُدُ اللَّهَ قَط)[1].

ومن شواهد هذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون:

قوله تعالى – في شأن فرعون وجحوده لخالقه –: ((وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب))[2].

***　　　***　　　***

١٣- إثبات صفة العلو لله تعالى:

قال الإمام أبو حنيفة –رحمه الله–: (من قَالَ لَا اعرف رَبِّي فِي السَّمَاء اَوْ فِي الأَرْض فقد كفر)[3]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في

---

[1] مجموع الفتاوى ٦٢٩/٧، وما بعدها (بتصرف).

[2] سورة غافر (الآيتان: ٣٦ ، ٣٧).

٣ الفقه الأكبر صـ١٣٥.

تعليقه على حديث الجارية المشهور[١]: (فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْجَارِيَةِ الْمَعْرُوفِ: {أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ} لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ وَأَنَّ السَّمَوَاتِ تَحْصُرُهُ وَتَحْوِيهِ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا؛ بَلْ هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. وَقَدْ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: إنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ – إلَى أَنْ قَالَ –: فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ مَحْصُورٌ مُحَاطٌ بِهِ وَأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إلَى الْعَرْشِ أَوْ غَيْرِ الْعَرْشِ – مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ – أَوْ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ عَلَى كُرْسِيِّهِ: فَهُوَ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ جَاهِلٌ وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ إلَهٌ يُعْبَدُ وَلَا عَلَى الْعَرْشِ رَبٌّ يُصَلَّى لَهُ وَيُسْجَدُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إلَى رَبِّهِ؛ وَلَا نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِهِ: فَهُوَ مُعَطِّلٌ فِرْعَوْنِيٌّ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ ...وَمَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ الصَّحِيحَةُ. فَإِنَّ هَذِهِ الْأَدِلَّةَ كُلَّهَا مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ مَخْلُوقَاتِهِ عَالٍ عَلَيْهَا قَدْ فَطَرَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ الْعَجَائِزَ وَالصِّبْيَانَ وَالْأَعْرَابَ فِي الْكُتَّابِ؛ كَمَا فَطَرَهُمْ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالْخَالِقِ تَعَالَى)[٢]، وَسُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمة – رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا –:عَنْ

---

١ ونصه: (عن معاوية بن الحَكَم السُّلَمي رضي الله عنه –في حديث طويل– أنه قال: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّة، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: (ائْتِنِي بِهَا)، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا :(أَيْنَ اللهُ؟)، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: (مَنْ أَنَا؟)، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ : (أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ). أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم: (٥٣٧). انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٥/٣.

٢ مجموع الفتاوى ٢٥٨/٥ وما بعدها، وانظر العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها للإمام الذهبي صـ١٤.

عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ؟ فَأَجَابَ بقوله: (أَمَّا " عُلُوُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ " وَأَنَّهُ كَامِلُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى: فَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْهَا " الْكِتَابُ " قَوْله تَعَالَى ((إلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)) وَقَوْلُهُ: ((إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلَيَّ)) وَقَوْلُهُ: ((أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)) ((أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا)) ؟ وَقَوْلُهُ: ((بَلْ رَفَعَهُ اللَّه إلَيْهِ)) وَقَوْلُهُ: ((تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إلَيْهِ)) وَقَوْلُهُ: ((يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ)) وَقَوْلُهُ: ((يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)). وَقَوْلُهُ: ((ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)) فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ؛ وَقَوْلُهُ: ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) وَقَوْلُهُ إخْبَارًا عَنْ فِرْعَوْنَ: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إلَى إلَهِ مُوسَى))...وَأَمْثَالُ ذَلِكَ)[1].

ومن دلائل هذه الفائدة من قصة هذا المؤمن:

قوله تعالى – في الرد على صنيع فرعون ومحاولته بناء الصرح كفرا وتمويها –: ((وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب))[2]، ولهذا نبه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على أن المعطلة نفاة الصفات شابهوا فرعون في هذا الصنيع بإنكاره لعلو الله تعالى، كما صرح القرآن الكريم بذلك في قصة مؤمن آل فرعون، فقال: (وَهَؤُلَاءِ الْمُشْبِهُونَ لِفِرْعَوْنَ الْجَهْمِيَّة نفاة الصِّفَاتِ الَّذِينَ وَافَقُوا فِرْعَوْنَ فِي جَحْدِهِ وَقَالُوا إنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ)) ((أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إلَى إلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا)) . وَكَانَ فِرْعَوْنُ جَاحِدًا لِلرَّبِّ فَلَوْلَا أَنَّ مُوسَى

---

١ مجموع الفتاوى ١٣/١٧٣.

٢ سورة غافر (الآية: ٣٧).

أَخْبَرَهُ أَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ لَمَا قَالَ: ((فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا)) قَالَ تَعَالَى: ((وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ)) وَقَالَ تَعَالَى: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) ((وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ))[1].

*** *** ***

١٤- العمل الصالح وشروط قبوله:

كل عبادة يقوم بها المسلم يريد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، تسمي "عملا" لأنها تصدر من العامل، وهو العبد الذي يتقرب به إلى الله جل وعلا، ووصف بكونه "صالحا" لأنه إذا صدر عن إيمان، ونية صالحة، وتوفرت فيه شروط قبول العمل الصالح – التي سنذكرها لاحقا – فإنه يكون مقبولا، وصالحا لأن يثاب عليه صاحبه، يقول ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله –: (وَالْعَمَلُ يَتْبَعُ قَصْدَ صَاحِبِهِ وَإِرَادَتَهُ، فَالِاعْتِقَادُ الْقَوِيُّ يَتْبَعُ أَيْضًا عِلْمَ ذَلِكَ وَتَصْدِيقَهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ تَابِعًا لِلْإِيمَانِ كَانَ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ إِذَا كَانَ عَنْ نِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَانَ صَالِحًا، وَإِلَّا فَلَا، فَقَوْلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ التَّابِعُ لِغَيْرِ الْإِيمَانِ، كَعَمَلِ أَهْلِ الصَّلَاحِ التَّابِعِ لِغَيْرِ قَصْدِ أَهْلِ الصَّلَاحِ)[2]، وتعريف العمل الصالح: هو كل قول أو عمل يقرب إلى الله تعالى ويكون فاعله لله مخلصاً ولنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم – متبعا[3]،وقيل العمل

---

١ المرجع نفسه والصفحة بعينها.

٢ شرح العقيدة الطحاوية طبعة وزارة الأوقاف السعودية صـ٥٣٩.

٣ انظر شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين صـ ٢٦.

الصالح: المراد به: الإيمان[١]، وذكر بعض المفسرين أن المقصود بالعمل الصالح في الآية: هو أداء الفرائض الواجبة[٢]، (فَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَى الْعَمَلِ هُوَ إِرَادَةُ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَسَلِمَ مِنَ الرِّيَاءِ فِي فِعْلِهِ وَكَانَ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ فَذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَقْبُولُ, وَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَى الْعَمَلِ هُوَ إِرَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَذَلِكَ النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ)[٣].

وأما شروط قبول العمل الصالح: فشرطان، هما:

١ - الإخلاص لله تعالى.

٢ - والثاني متابعة نبينا صلى الله عليه وسلم وموافقة أمره.

والدليل على هذين الشرطين: قوله تعالى: ((وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا))[٤]، ونقل الإمام الطبري عن قتادة - رحمهما الله -أنه قال - في تفسير الآية-: (وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان)[٥]، وقال البيضاوي - رحمه الله -: (ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة إسمية مصدرة باسم الإشارة، وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة، وجعل العمل عمدة والإيمان حالاً للدلالة على أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك)[٦]، وقال الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره: (وَمَنْ عَمِلَ

---

١ انظر تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي لشيخنا الدكتور عبد الرزاق البدر صـ٣٢٠.

٢ انظر تفسير الطبري ١٨/ ٣٧٩

٣ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ الحكمي تحقيق عمر بن محمود ٤٩٣/٢

٤ سورة طه (الآية:١١٢).

٥ انظر جامع البيان ٣٧٩/١٨

٦ أنوار التنزيل وأسرار التأويل تحقيق محمد المرعشلي ٥٨/٥.

صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ أي: من عمل صَالِحًا مَعَ كَوْنِهِ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ، وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِيمَانِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ... وَقِيلَ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ، هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)١، وبين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هذين الشرطين لقبول العمل بقوله: (وَلَا بُدَّ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ أَصْلَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: إخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالثَّانِي: مُوَافَقَةُ أَمْرِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصًا وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدِ فِيهِ شَيْئًا؛ وَقَالَ الْفُضَيْل بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْله تَعَالَى {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ قَالُوا يَا أَبَا عَلِيٍّ: مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إذَا كَانَ الْعَمَلُ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا؛ وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ)[٢].

ويقول المقريزي[٣] – رحمه الله –: (واعلم أن العبد لا يكون متحققًا بعبادة الله – تعالى – إلاّ بأصلين: أحدهما: متابعة الرّسول صلى الله عليه وسلم، والثاني: إخلاص العبودية...والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملاً صوابًا عاريًا منه، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت، قال الله – تعالى –: ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)) ، وقال: ((إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا

---

١ فتح القدير ٥٦٥/٤

٢ انظر مجموع الفتاوى ١٢٤/٣.

٣ هو: أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبكّ، ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق، كانت وفاته سنة ٨٤٥هـ. انظر البدر الطالع للشوكاني ٧٩/١، والأعلام ١٧٧/١.

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)) ، وأحسن العمل: أخلصه وأصوبه ...فالخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على وفق سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١].

ويرى الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي[٢] – رحمه الله – أن شروط قبول العمل ثلاثة؛ فقال: (اعلم أولا أن القرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور:

الأول: موافقته لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله يقول: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[٣].

الثاني: أن يكون خالصا لله تعالى لأن الله جلّ وعلا يقول: ((وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ))[٤].

---

١ تجريد التوحيد المفيد للمقريزي تحقيق طه الزيني صـ٤٢.

٢ هو: الشيخ العلامة الأصولي المفسر محمد الأمين بن محمد المختاربن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح الجكني الحميري الشنقيطي، ولد بمدينة "كيفة" في بلاد شنقيط سنة ١٣٢٥هـ ، ثم قدم إلى المملكة لأداء فريضة الحج، فاستقر بها، يدرس في الجامعة الإسلامية والمسجد النبوي الشريف، كانت وفاته بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣هـ. انظر العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشيخ محمد الأمين الشنقيطي تحقيق الدكتور خالد السبت إشراف الشيخ بكر أبو زيد ٤٤/١، وجهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف للدكتور عبد العزيز الطويان طبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط٢ ١٤٢٧هـ ٢٥/١، والأعلام ٤٥/٦.

٣ سورة الحشر (الآية: ٧).

٤ سورة البينة (الآية: ٥).

((قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي))[١]، ((فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ))[٢]، الثالث: أن يكون مبنيا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله يقول: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[٣]، فقيد ذلك بالإيمان ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح)[٤]

ومصداق ما قلناه في هذه الفائدة:

هو قوله تعالى: ((ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب))[٥].

*** *** ***

١٥- الكفر والشرك:

١ – تعريف الكفر:

أ – الكفر في اللغة: بضم الكاف ويفتح: ضد الإيمان، وهو الجحود، وأصله من الكَفْر: وهو الستر والتغطية، وكفر الشيء: غطاه وستره، والكَفْر: ظلمة الليل واسوداده، العرب للزارع: كافر، لأنه يزرع البذر في الأرض ، ويغطيه بالتراب[٦].

---

١ سورة الزمر (الآية: ١٤).

٢ سورة الزمر: (الآية ١٥).

٣ سورة النحل: (الآية٩٧).

٤ أضواء البيان ٢٥٢/٣، وانظر تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٣٤/٤ ، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للدكتور محمد الخميس صـ٢٥١، وجهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ١٨٨/١.

٥ سورة غافر (الآية: ٤٠).

٦ انظر تهذيب اللغة ١١٣/١٠، وأساس البلاغة للزمخشري تحقيق محمد عيون السود ١٤١/٢، والقاموس المحيط ٤٧١/١

ب – تعريف الكفر شرعا:

تعريف الكفر في الشَّرْع: جحد ما لا يتم الإسلام إلا به[١]، وقيل: هو: تكذيب الله ورسله[٢]

وقيل: حقيقة الكفر: هي الخروج عن الملة[٣]، وعرف الباقلاني[٤] – رحمه الله – الكفر شرعا بأنه: ضد الإيمان وهو الجهل بالله عز وجل والتكذيب به[٥] .

٢ – تعريف الشرك:

أ – الشرك في اللغة: هو الاشتراك في أمر بين اثنين أو أكثر، وتشارك الرجلان واشتركا، وشارك أحدهما الآخر، ومنه الشرك: ويراد به الاشتراك في الأرض[٦].

ب – معنى الشرك في الشرع:

---

١ العين والأثر في عقائد أهل الأثر ابن فَقِيه فُصَّة تحقيق عصام قلعجي ص٤٠.

٢ نزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لابن خمير تحقيق محمد الداية صـ٩٦.

٣ صحيح مسلم بشرح النووي ١١٢/١.

٤ هو: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر: قاض، من كبار علماء الكلام، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وجّهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، وسكن بغداد فتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ. انظر وفيات الأعيان ٤٨١/١، والأعلام ١٧٦/٦.

٥ انظر التمهيد للباقلاني ص ٣٩٤، وأعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي صـ١٤٦، والمدخل لدراسة العقيدة للدكتور البريكان صـ١٨١، وأصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة للدكتور سعود الخلف ٨٢/٢، والمفيد في مهمات التوحيد للدكتور عبد القادر عطا صوفي صـ٢٤٧.

٦ انظر أساس البلاغة للزمخشري ٥٠٥/١، وتهذيب اللغة للأزهري ١٢/١٠، ولسان العرب لابن منظور ٤٤٨/١٠، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ٢٢٣/٢٧.

تنوعت عبارات العلماء – رحمهم الله – في بيان حقيقة الشرك في الشرع ،فقيل: هو صرف حق من حقوق الله لغيره[١]، وقيل هو: مساواة غير الله بالله فيما هو حق لله[٢]، وعرفه الشيخ السعدي – رحمه الله – بقوله: (وحقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما يعبد الله أو يُعظم كما يعظم الله أو يُصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية)[٣]

وحقيقة الشرك: صرف العبد شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى ؛ سواء كان صنما أو وثنا، أو حجرا، أو غير ذلك[٤]، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – اجتماع الكفر والشرك في حق فرعون وملئه، فقال: (وَلِهَذَا لَمَّا خَاطَبَهُمْ الْمُؤْمِنُ ذَكَرَ الْأَمْرَيْنِ – الكفر والشرك – فَقَالَ: ((تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ)) فَذَكَرَ الْكُفْرَ بِهِ الَّذِي قَدْ يَتَنَاوَلُ جُحُودَهُ وَذَكَرَ الْإِشْرَاكَ بِهِ أَيْضًا؛ فَكَانَ كَلَامُهُ مُتَنَاوِلًا لِلْمَقَالَتَيْنِ وَالْحَالَيْنِ جَمِيعًا. فَقَدْ تَبَيَّنَ: أَنَّ الْمُسْتَكْبِرَ يَصِيرُ مُشْرِكًا إمَّا بِعِبَادَةِ آلِهَةٍ أُخْرَى مَعَ اسْتِكْبَارِهِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ لَكِنَّ تَسْمِيَةَ هَذَا شِرْكًا نَظِيرُ مَنْ امْتَنَعَ مَعَ اسْتِكْبَارِهِ عَنْ إخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((إنَّهُمْ كَانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)) ((وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ)) فَهَؤُلَاءِ مُسْتَكْبِرُونَ مُشْرِكُونَ؛ وَإِنَّمَا اسْتِكْبَارُهُمْ عَنْ إخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ فَالْمُسْتَكْبِرُ الَّذِي لَا يُقِرُّ بِاَللَّهِ فِي الظَّاهِرِ كَفِرْعَوْنَ أَعْظَمُ

---

[١] أضواء البيان ٣/٦١٤.

[٢] انظر شرح نواقض التوحيد للدكتور حسن عواجي صـ١٣

[٣] تيسير الكريم الرحمن ١/٢٧٩، وانظر المفردات في غريب القرآن للراغب الصفهاني صـ٤٥٢

٤ انظر منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام للدكتور حمود الرحيلي ١/١٠٧، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية لشمس الدين الأفغاني ١/٣٦٣، والمفيد في مهمات التوحيد للدكتور عبد القادر عطا صوفي صـ١٥١، والشرك في القديم والحديث للدكتور أبي بكر محمد زكريا ١/١١٨.

كَفْرًا مِنْهُمْ وَإِبْلِيسَ الَّذِي يَأْمُرُ بِهَذَا كُلِّهِ وَيُحِبُّهُ وَيَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَطَاعَتِهِ أَعْظَمُ كُفْرًا مِنْ هَؤُلَاءِ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِوُجُودِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ كَمَا أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ أَيْضًا عَالِمًا بِوُجُودِ اللَّه) ١.

ومصداق هذه الفائدة:

ما جاء في قصة مؤمن آل فرعون؛ من أن الكفر والشرك سبب في دحول النار، في قوله تعالى: ((ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار)) [٢].

*** *** ***

١٦- الإيمان بالقضاء والقدر:

هاتان اللفظتان: "القضاء" و"القدر" قيل إنهما مترادفتان في المعنى، فمؤداهما واحد، وقيل إن بينهما فرقا؛ فـ"الْقَضَاءُ" هُوَ: الْحُكْمُ الْكُلِّيُّ الْإِجْمَالِيُّ فِي الْأَزَلِ وَ"الْقَدَرُ" هو: جُزْئِيَّاتُ ذَلِكَ الْحُكْمِ وَتَفَاصِيلُهُ [٣]، فالإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ونصوص الكتاب والسنة المخبرة عن قدرة الله عز وجل والآمرة بالإيمان بالقدر كثيرة؛ منها قوله جل وعلا: ((إنا كل شيء خلقناه بقدر)) [٤] ومن السنة ما سبق ذكره في سؤال جبريل – عليه السلام – نبينا صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فأجابه بقوله: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره) [٥] والقدر من معاني

---

[١] مجموع الفتاوى ٦٣٣/٧.

٢ سورة غافر (الآيتان: ٤١ ، ٤٢).

٣ انظر فتح الباري ٤٧٧/١١.

٤ سورة القمر الآية: ٤٩

٥ سبق تخريجه انظر صـ

الربوبية التي يجب الإيمان بها لتحقيق توحيد الربوبية لله عز وجل؛ ولهذا قال الأمام أحمد – رحمه الله –: (القدر قدرة الله؛ لأنه من قدرته ومن عمومها بلا شك، وهو أيضا سرّ الله تعالى المكتوم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى)[١]

ومن لوازم الإيمان بالقضاء والقدر: التوكل على الله وتفويض الأمر إليه تعالى:

أ – فالتَّوَكُّلِ في اللغة: مأخوذ من الْوُكُولُ؛ يُقَالُ وَكَّلْتُ أَمْرِي إِلَى فُلَانٍ أَيْ أَلْجَأْتُهُ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ وَوَكَّلَ فُلَانٌ فُلَانًا اسْتَكْفَاهُ أَمْرَهُ ثِقَةً بِكِفَايَتِهِ، ووَكِلَ بِاللَّهِ وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ واتَّكَلَ معناه: استَسْلم إِليه، ووَكَلْت أَمري إِلى فُلَانٍ أَي أَلجَأْتُه إِليه وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ، ووَكَّلَ فلانٌ فُلَانًا إِذا استَكْفاه أَمرَه ثِقةً بكِفايتِه أَو عَجْزاً عَنِ القِيام بأَمر نَفْسِهِ[٢].

ب – وأما التوكل على الله في الشرع: فهو الاعتماد على الله في جلب منافعه ودفع مضاره[٣] وعرفه الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي – رحمه الله – بقوله: (التوكل على الله: الثقة به، وإسناد الأمور وتفويضها إليه مع تعاطي الأسباب؛ لأن الله أمر بها. ولابد مع تعاطيها من الثقة بأنه لا يقع إلا ما أراد الله تعالى)[٤]، ويقول الشيخ السعدي – رحمه الله –: (وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق

---

١ انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٢٥٤، وشفاء العليل لابن القيم ١/ ٢٨.

٢ انظر تهذيب اللغة ٣٣٠/٩ ، ولسان العرب ٧٣٤/١١.

٣ انظر فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ حامد بن محمد بن حسين بن محسن تحقيق الشيخ بكر أبو زيد صـ٣٥٦.

٤ جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف للدكتور عبد العزيز الطويان ١٦٣/١، وانظر طريق الهجرتين ص٢٥٥، وتيسير العزيز الحميد ص٤٢٨

غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة)[١]وقال الحافظ ابن حجر– رحمه الله –: (وَقَالَ بَعْضُهُمْ الصَّبْرُ تَارَةً يَكُونُ لِلَّهِ وَتَارَةً يَكُونُ بِاللَّهِ فَالْأَوَّلُ الصَّابِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ فَيَصْبِرُ عَلَى الطَّاعَةِ وَيَصْبِرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالثَّانِي الْمُفَوِّضُ لِلَّهِ بِأَنْ يَبْرَأَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَيُضِيفَ ذَلِكَ إِلَى رَبِّهِ)[٢]، كما ثبت في حديث: "السبعين من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب[٣]"– كترك التطير[٤] ، والرقية[٥] ، والكي من باب التوكل على الله ، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه وهذا خلاصة

---

١ القول السديد شرح كتاب التوحيد تحقيق المرتضى أحمد صـ١٢٠، وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح الفوزان صـ٨٠.

٢ فتح الباري١١/٣٠٥ ، ونظر الإيمان لابن تيمية صـ١٧، والإيمان بالقدر للدكتور علي الصلابي صـ ٨٧

٣ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٦٥٤١) انظر فتح الباري ١١/٤٠٧، والإمام مسلم في صحيحه برقم: (٣٥٤)
انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٣/٨٨.

٤ التطير: هو التشاؤم، وأصله: من تفاؤل أهل الجاهلية بالطير، وهذا رأي الراغب الأصفهاني، وذهب آخرون – ومنهم ابن حجر – إلى أن أصله: من تشاؤمهم بالطير قال ابن حجر: (كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الطَّيْرِ فَإِذَا خَرَجَ أَحَدُهُمْ لِأَمْرٍ فَإِنْ رَأَى الطَّيْرَ طَارَ يَمْنَةً تَيَمَّنَ بِهِ وَاسْتَمَرَّ وَإِنْ رَآهُ طَارَ يَسْرَةً تَشَاءَمَ بِهِ وَرَجَعَ وَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يُهَيِّجُ الطَّيْرَ لِيَطِيرَ فَيَعْتَمِدُهَا فَجَاءَ الشَّرْعُ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ) وكل منهما حاصل. انظر المفردات في غريب القرآن تحقيق صفوان الداوودي صـ٥٣٨، وفتح الباري ١٠/٢١٢، وكتاب التعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف صـ٢٢٧.

٥ الرقية: هي قراءة آيات من القرآن الكريم أو بعض الأدعية الصحيحة الثابتة من السنة النبوية على المريض. انظر معجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح صـ١٩٨، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١٨٤، وفتح الباري ١٠/١٩٥.

التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد[1] الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضى به ربًا وإلهًا، والرضى بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء، وعده من النعماء)[2]

ومن شواهد هذه الفائدة:

تصريح المؤمن بتفويض أمره إلى بارئه سبحانه وتعالى، مسلما أمره إليه، ومؤمنا بقضائه وقدره، في قوله تعالى – عن المؤمن –: ((وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد))[3]، وذكر الله تعالى أن المؤمن قال: ((فستذكرون ما أقول لكم))[4]؛ مما يؤكد إيمانه بأن ما قدره الله واقع لا محالة، وقد أشار العلامة ابن القيم – رحمه الله – إلى هذه الفائدة العقدية بقوله: (وَأَمَّا التَّوَكُّلُ: فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ إِلَّا مُجَرَّدَ التَّفْوِيضِ. وَهُوَ مِنْ أَخَصِّ مَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ...وَقَالَ تَعَالَى عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ((وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ))[5]، فَكَانَ جَزَاءُ هَذَا التَّفْوِيضِ قَوْلَهُ: ((فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا))[6] ...وَلَمْ يَجِئِ التَّفْوِيضُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيمَا حَكَاهُ عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ

---

١ ولهذا ذكر الحافظ ابن حجر أن الحليمي وجه معنى الحديث بأنه: (يحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ غَفَلَ عَنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُعَدَّةِ لِدَفْعِ الْعَوَارِضِ؛ فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الِاكْتِوَاءَ وَلَا الِاسْتِرْقَاءَ، وَلَيْسَ لَهُمْ مَلْجَأٌ فِيمَا يَعْتَرِيهِمْ إِلَّا الدُّعَاءَ وَالِاعْتِصَامَ بِاللَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، فَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ طِبِّ الْأَطِبَّاءِ، وَرُقَى الرُّقَاةِ، وَلَا يُحْسِنُونَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَاللَّهُ أَعْلَم) فتح الباري ٢١٢/١٠.

٢ انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تحقيق زهير الشاويش صـ٨٤.

٣ سورة غافر (الآية: ٤٤).

٤ سورة غافر (الآية: ٤٤).

٥ سورة غافر (الآية: ٤٤).

٦ سورة غافر (الآية: ٤٥).

مِنْ قَوْلِهِ: ((وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ))[١]،[٢]، وبهذا يتضح أن التفويض هُوَ رُوحُ التَّوَكُّلِ وَلُبُّهُ، وهو ما صرح به هذا المؤمن؛ حيث فوض أمره إِلَى اللَّهِ، وأنزله بِهِ طَلَبًا وَاخْتِيَارًا، لَا كَرْهًا وَاضْطِرَارًا، فدل ذلك على جمعه بين هذين المقامين العظيمين: التوكل والتفويض.

*** *** ***

١٧- الحسنة والسيئة:

أ- تعريف الحسنة والسيئة:

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير الحسنة والسيئة في قول الله تعالى: ((وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ))[٣]: الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ أَمَّا الْحَسَنَةُ فَأَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ، وَأَمَّا السَّيِّئَةُ فَابْتَلَاكَ بِهَا)[٤]

وليس المراد بالحسنة والسيئة في قصة هذا المؤمن الطاعة والمعصية، كما قالت القدرية[٥] وإنما تكون الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية في نحو قوله تعالى : ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا

---

[١] سورة غافر (الآية: ٤٤).

[٢] مدارج السالكين ١٣٧/٢ وما بعدها (يتصرف)، وانظر مجموع الفتاوى ٧٣/١.

٣ سورة النساء (الآيتان: ٧٨،٧٩).

٤ انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي تحقيق الدكتور أحمد سعد الغامدي ٦١٠/٣ رقم الأثر: (٩٧٦)، والحبائك في أخبار الملائك للسيوطي تحقيق محمد بسيوني زغلول صـ٣٧.

٥ القدرية: هم الذين يزعمون أن كل إنسان خالقٌ لفعله، ولا يرون أن الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. انظر التعريفات للجرجاني صـ١٧٤.

مثلها))١، وأما في هذه الآية فالحسنة : الغنى ، والسيئة : الفقر، وقيل : الحسنة : النعمة والفتح والغنيمة يوم بدر ، والسيئة : البلية والشدة٢، فالحسنة أنعم اللَّه بها ويثوابها على المحسن، والسيئة التي هي من نفس المسيء ناشئة حصلت بسبب المسيء وفعله؛ وإن كانت بقضاء الله وقدره٣، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في رده على القدرية بقسميها: "النفاة" و"الغلاة"٤ مبينا أن الحسنة والسيئة من الله، وأنه هو الذي قدرهما: (الْأَفْعَالَ مُنْقَسِمَةٌ إلَى حَسَنٍ وَسَيِّئٍ مَعَ كَوْنِهِ تَعَالَى خَالِقَ الصِّنْفَيْنِ. وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ يَذْكُرُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ وَأَفْعَالَهُمَا الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ ووَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ؛ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ خَالِقُ الصِّنْفَيْنِ كَقَوْلِهِ ((يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ))٥ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَهَذَا الْأَصْلُ ضَلَّتْ فِيهِ الْجَبْرِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ: فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ الْمَجُوسِيَّةَ قَالُوا: إنَّ الْأَفْعَالَ تَنْقَسِمُ إلَى حَسَنٍ وَقَبِيحٍ لِصِفَاتِ قَائِمَةٍ بِهَا وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُحْدِثُ لَهَا بِدُونِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَبِدُونِ خَلْقِهِ. فَقَالَتْ الْجَبْرِيَّةُ: بَلْ الْعَبْدُ مَجْبُورٌ عَلَى فِعْلِهِ وَالْجَبْرُ حَقٌّ يُوجِبُ وُجُودَ أَفْعَالِهِ عِنْدَ وُجُودِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَخْلُقُهَا اللَّهُ وَامْتِنَاعُ وَجُودِهَا عِنْدَ عَدَمِ شَيْءٍ مِنْ الْأَسْبَابِ. وَإِذَا كَانَ مَجْبُورًا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا لِمَعْنَى يَقُومُ بِه)٦

---

١ سورة الأنعام (الآية: ١٦٠).

٢ انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٨٤، والقضاء والقدر للأشقر صـ٦٩.

٣ انظر شفاء العليل لابن القيم صـ١٦٤.

٤ انظر الرد عليهم في الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابن أبي الخير الشافعي ٢/٥٢٦ ، والحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة لجلال الدين الدواني تحقيق الدكتور عبد الله حاج منيب صـ٢٤١.

٥ سورة النحل (الآية: ٩٣).

٦ مجموع الفتاوى ١٦/٢٣٥، ونظر بدائع الفوائد لابن القيم صـ١٥٩

ونقل عن ابن عباس – رضي الله عنهما – تفسير السيئة والحسنة في قصة هذا المؤمن بأن ((سَيِّئَةً)) في الآية: تعْنِي الشِّرْكَ ((فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها)) وَهُوَ العذاب ((وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً)) يَعْنِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ[١].

ب–جزاء الحسنة والسيئة:

من رحمة الله تعالى بعبده المؤمن أنه إن هم بعمل صالح، أو الإتيان بحسنة؛ فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، وإن هم بها؛ فعملها فإن الله – عز وجل – يضاعفها له بعشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فضلا منه سبحانه، وكرما، ورحمة، وأما إن عمل عملا غير صالح، أو اقترف سيئة، فإنه لا يحاسب إلا على تلك السيئة، ولا يجازى إلا بمثلها؛ بمعنى أنه لا يضاعف عليه الوزر بفعل السيئة، كما يضاعف له الأجر بعمل الحسنة؛ بل من رحمة الله جل وعلا أن العبد إذا هم بفعل السيئة، ثم تراجع عنها، ولم يعملها كتبت له حسنة، فإذا عملها جوزي بمثلها من غير تضعيف عدلا منه سبحانه وتعالى، كما سبق، وهذا غاية كمال الإنعام والرحمة والتكريم بفضله تعالى وجوده وعدله مع العباد، والدليل على ما قلناه من القرآن: قوله تعالى: ((مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))[٢]وقوله تعالى أيضا – في شأن السيئة – :((وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا))[٣]، ومن السنة: ما رواه الشيخان عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أنه قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،

---

١ انظر الجامع لأحكام القرآن ١٥٣١٧، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٩/٤، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي صـ٧٣٧.

٢ سورة الأنعام (الآية: ١٦٠).

٣ سورة يونس (الآية: ٢٧).

ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)[1] ، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في تعليقه على هذا الحديث: (وَفِيهِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ جَعَلَ الْعَدْلَ فِي السَّيِّئَةِ وَالْفَضْلَ فِي الْحَسَنَةِ، فَضَاعَفَ الْحَسَنَةَ وَلَمْ يُضَاعِفِ السَّيِّئَةَ؛ بَلْ أَضَافَ فِيهَا إِلَى الْعَدْلِ الْفَضْلَ فَأَدَارَهَا بَيْنَ الْعُقُوبَةِ وَالْعَفْوِ)[2].

ومصداق هذه الفائدة من هذه القصة العجيبة:

قول الله تبارك وتعالى: ((من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب))[3].

*** *** ***

١٨- هوان المعبودات من دون الله تعالى:

لقد أمر الله تعالى عباده بالإيمان به، والكفر بالطاغوت، فقال سبحانه: ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))[4] ، فكل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت١، سواء كان

---

١ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٦٤٩١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٣٢٣/١١، والإمام مسلم في صحيحه برقم: (١٢٨) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٥١/٢.

٢ انظر فتح الباري ٣٢٩/١١.

٣ سورة غافر (الآية:٤٠).

٤ سورة البقرة (الآية:٢٥٦).

نُصُباً[٢]، أو صنما، أو وثنا، أو حجرا، أو شجرا، وقد زين الشيطان للمشركين طاعتهم لهذه المعبودات من دون الله تعالى، مع أنها مخلوقات لله تعالى مهينة في نفسها، لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عن عابديها شيئا، واستحقت الهوان؛ لأنه صرف لها حق لله تعالى، وهو صرف العبادة له وحده دون سواه، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله–: (والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، والحظ الأكبر من ذلك للشيطان)[٣]، وذكر العلامة ابن القيم – رحمه الله – أن تلاعب الشيطان بالإنسان لم يقف عند هذه المعبودات من الجماد؛ وإنما تلاعب بالإنسان فزين له عبادة الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات[٤].

وقد اتضح هوان هذه المعبودات من دون الله تعالى من أربع نواحي:

١ – هوانها على الله تعالى: وذلك في قوله تعالى: ((وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُون))[٥] أي: ألقي في النار العابدون مع معبوداتهم، كما ثبت في الحديث القدسي فيما

---

١ الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. انظر كتاب التعريفات الاعتقادية صـ٢٢٣، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (والطواغيت: من عبد، وهو راض، أو ترشح للعبادة) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية٢ /١٢٢.

٢ قال ابن القيم: النصب: كل ما نصب يعبد من دون الله: من حجر، أو شجر، أو وثن، أو قبر. انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢٠٧/١.

٣ أضواء البيان ١٥٩/١.

٤ انظر إغاثة اللهفان ٢٣٥/٢.

٥ سورة الشعراء (الآيات: ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤).

يرويه نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن ربه عز وجل أنه قال: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[١].

٢ – هوانها على أنبياء الله ورسله – عليهم السلام –: ومن ذلك ضجر نبي الله إبراهيم – عليه السلام – من عبادة قومه للأصنام، فقد ذكر الله عنه أنه قال: ((أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))٢ ، ولما رجع نبي الله موسى – عليه السلام – من ميقات ربه، ووجد قومه يعبدون العجل من دون الله تعالى، غضب غضبا شديدا، وقال ما ذكره الله عنه في القرآن الكريم: ((وَانظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا))[٣]،وعندما دخل نبينا – صلى الله عليه وسلم– مكة يوم الفتح، فَطَافَ عَلَى راحلته وَحَوْلَ الْبَيْتِ أَصْنَامٌ مَشْدُودَةٌ بِالرَّصَاصِ، فَجَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيبِ فِي يَدِهِ إلَى الْأَصْنَامِ وَيَقُولُ: ((جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا))٤ فَمَا أَشَارَ إلَى صَنَمٍ مِنْهَا فِي وَجْهِهِ إلَّا وَقَعَ لِقَفَاهُ، وَلَا أَشَارَ إلَى قَفَاهُ إلَّا وَقَعَ لِوَجْهِهِ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ إلَّا وَقَعَ[٥].

٣ – هوانها على عابديها:

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم: (٢٩٨٥). انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١١٥/١٨.

٢ سورة الأنبياء (الآيتان: ٦٥ ، ٦٧).

٣ سورة طه (الآيتان: ٩٧ ، ٩٨).

٤ سورة الإسراء (الآية: ٨١).

٥ انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا ٤١٧/٢.

لما انتشرت هذه الأصنام – معبودات الجاهلية – قبل بزوغ شمس رسالة الإسلام، كَانَ لِبَنِي مَلْكَانَ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ صَنَمٌ يُقَالُ لَهُ: "سَعْدٌ" وهو: عبارة عن صَخْرَةٌ بِفَلَاةٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوِيلَةٌ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَلْكَانَ بِإِبِلٍ لَهُ يسوقها لِيَقِفَهَا عَلَيْهِ الْتِمَاسَ بَرَكَتِهِ ، حسب اعتقاده، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْإِبِلُ، وعليه عَلَيْهِ الدِّمَاءُ التي تصب عليه، نَفَرَتْ مِنْهُ فَذَهَبَتْ فِي كُلِّ اتجاه، وَغَضِبَ صاحبها الْمَلْكَانِيُّ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَرَمَاهُ بِهِ وَقَالَ: لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، نَفَّرْتَ عَلَيَّ إبِلِي، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِهَا حَتَّى جَمَعَهَا، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ لَهُ قَالَ[1] :

أَتَيْنَا إلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّتَنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدِ

وَهَلْ سَعْدُ الَّا صَخْرَةٌ بِتَنُوفَةٍ[2] مِنَ الْأَرْضِ لَا يُدعى لِغَيٍّ وَلَا رُشْدِ

٤ – هوانها في نفسها:

وقد أنكر الله تعالى طاعة البشر لهذه المعبودات من دونه عز وجل؛ مع هوانها في نفسها ، فهي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، و لا تضر، ولا تغني عن عابديها شيئا؛ فقال تعالى: ((قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))[3]؛ مع أن الشيء إذا لم يكن قادرا على النفع أو الضر؛ فمن الحماقة الاعتداد به؛ فضلا عن عبادته، كما قال الشاعر العربي قديما[4]:

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ فإنما يرجَّى الفتى كيما يضرَّ وينفعَا

---

١ انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا ٨١/١.

٢ التنوفة: المَفازَةُ، أو الأرضُ الواسِعَةُ البَعيدَةُ الأطْرافِ، أو الفَلاةُ لا ماءَ بها ولا أنيس. انظر القاموس المحيط ٧٩٤/١ مادة: (التنوفة).

٣ سورة الأنبياء (الآيتان: ٦٦،٦٧)

٤ البيت للشاعر: قيس بن الخطيم انظر ديوانه صـ٢٣٥.

وقال تعالى – في شأن غفلة المعبودات وهوانها في نفسها –: ((وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ))[١] يقول الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير الآية: (يقول تعالى ذكره: ((وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُون)) وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة؛ لأنها لا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل)[٢]، وقال تعالى: ((إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ))[٣] ، وقال تعالى: ((أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ))[٤].

ومصداق هذه الفائدة من القصة:

قوله تعالى: ((ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار))[٥]، وقوله تعالى – في القصة في ذكر غضب هذا المؤمن عندما دعا قومه إلى الإيمان بالله تعالى، فإذا هم يدعونه إلى الكفر والشرك بالمعبودات الباطلة –:((لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة))[٦]، وذكر الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره أن فِرْعَوْنُ دعا الناس أَوَّلًا إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بعد ذلك إِلَى عِبَادَةِ الْبَقَرِ، فَكَانَتْ البقرة تُعْبَدُ مَا دامت

---

[١] سورة الأحقاف (الآية: ٥).
[٢] جامع البيان ٥٠٢/٧.
[٣] سورة غافر (الآية: ١٤).
٤ سورة الأعراف (الآية: ١٩٥).
[٥] سورة غافر (الآيتان:٤١ ، ٤٢).
[٦] سورة غافر (الآية:٤٣).

شَابَّةً، فَإِذَا هَرِمَتْ أَمَرَ بِذَبْحِهَا، ثُمَّ دَعَا ببقرة أخْرَى شابة لِتُعْبَدَ، فلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الأمد صرح لهم قائلا: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى[١].

***　　　***　　　***

١٩- إثبات عذاب القبر:

يقوم منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة على إثبات نعيم القبر وعذابه[٢]، وهو المعبر عنه بالحياة البرزخية، فالميت في قبره إما أن ينعم، أو يعذب، قال تعالى: ((وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون))[٣]، يقول الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسيره: (اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعدَ الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة، فقال بعضهم: هو عذاب القبر)[٤]، ومن الأدلة على ثبوت عذاب القبر قوله تعالى: ((سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ))[٥]، قيل إن المراد بالمرتين: عذاب في الدنيا وعذاب في البرزخ، وقيل: كلاهما في البرزخ[٦] ، كما ثبت في السنة – من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – أنه قال (مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين ، فقال: إنهما ليعذبان؛ وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما: فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة، فأخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة فقالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟

---

[١] انظر الجامع لأحكام القرآن ٣١٧/١٥.

[٢] انظر شرح العقيدة الطحاوية ترتيب د خالد فوزي ٩٨٦/٢، وصحيح مسلم بشرح النووي ٢٠١/١٧ ، وفتح الباري ٣/ ٢٤٣.

[٣] سورة الطور (الآية:٤٧).

[٤] جامع البيان ٢٢ /٤٨٦.

٥ سورة التوبة (الآية:١٠١).

٦ انظر جامع البيان للطبري٤٤١/١٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين ٦٠/٣.

قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)[1]، وورد في الحديث: (إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ)[2]يقول ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله – في شرح العقيدة الطحاوية: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ثبوت عذاب القبر ونعيمه؛ لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول)[3].

ودلائل هذه الفائدة من هذه القصة:

قوله تعالى – في نهاية قصة هذا المؤمن –: ((فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ))[4]

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية: (وقوله تبارك وتعالى: ((فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا)) أَيْ: فِي الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا: فنجاه الله تعالى مع موسى –عليه الصلاة والسلام – وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ: فَبِالْجَنَّةِ، ((وَحاقَ بِآلِ

---

١ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٢١٤) انظر فتح الباري ٣٧٩/١) والإمام مسلم في صحيحه برقم: (٤٧٢) ثم قال في تعليقه على الحديث: (وأما فقه الباب ففيه : إثبات عذاب القبر ، وهو مذهب أهل الحق خلافا للمعتزلة) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٠/٣.

٢ أخرجه الإمام الترمذي برقم: (٢٤٦٠) وقال عنه: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ" فالحديث ضعيف؛ لكن معناه صحيح، وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب" برقم : (١٩٤٤).

٣ شرح العقيدة الطحاوية تحقيق التركي والأرناؤوط ٥٧٨/٢.

٤ سورة غافر (الآيتان: ٤٥ ، ٤٦).

فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)) وَهُو: الْغَرَقُ فِي الْيَمِّ[1]، ثُمَّ النَّقْلَةُ مِنْهُ إِلَى الْجَحِيمِ؛ فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمْ تُعْرَضُ عَلَى النَّارِ صَبَاحًا وَمَسَاءً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ اجْتَمَعَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ فِي النَّارِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) أَيْ: أَشَدَّهُ أَلَمًا وَأَعْظَمَهُ نَكَالًا، وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِدْلَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ الْبَرْزَخِ في القبور)[2]، واستدل الإمام السيوطي[3] – رحمه الله – بالآية على عذاب القبر؛ لأن المعطوف غير المعطوف عليه؛ فقوله تعالى: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ)) أي: هذا العرض ما دامت الدنيا، فإذا قامت الساعة يقال لهم: ((أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) والمراد به عذاب جهنم؛ لأنه جزاء شدة كفرهم[4] ، ونقل ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – في تفسيره قول ابن سيرين – رحمه الله –: (كان أبو هريرةَ يأتِينا بعد صلاةِ العصرِ، فيقول: عرجت ملائكةٌ، وهبطتْ ملائكةٌ، وعُرِضَ آل فرعونَ على النارِ، فلا يسمعُه أحد إلا يتعوَذ باللَّهِ من النار)[5]، ونبه شيخ الإسلام ابن تيمة – رحمه الله – على هذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون، فقال: (وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ أَنَّهُ حَاقَ بِهِمْ سُوءُ الْعَذَابِ فِي الْبَرْزَخِ، وَأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ

---

[1] اليم: البحر، وذكروا أن اليم الذي غرق فيه فرعون بناحية مصر كان اسمه: "إساف" انظر لسان العرب ١٣٩/٣٤ مادة: (ي م م).

[2] تفسير القرآن العظيم ١٣٢/٧.

[3] هو: الحافظ المصنف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني، ولد سنة ٨٤٩هـ، ونشأ بالقاهرة، عرف بكثرة التأليف؛ حتى ألف ٦٠٠ مصنف، وعند بلوغه الأربعين اعتزل الناس حتى مات سنة ٩١١هـ. انظر شذرات الذهب ٥١/٨، والأعلام ٣٠١/٣.

[4] انظر الدر المنثور للسيوطي ٢٩١/٧، ومحاسن التأويل للقاسمي ٣١٢/٨.

٥ روائع التفسير لابن رجب ٢٢٨/٢.

يَدْخُلُونَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَهَذِهِ الآيَةُ: إِحْدَى مَا اسْتَدَلَّ بِهِ الْعُلَمَاءُ عَلَى عَذَابِ الْبَرْزَخِ)[١].

*** *** ***

٢٠- إثبات فضائل الصحابة – رضي الله عنهم –:

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة – رضي الله عنهم –:

توافرت نصوص الكتاب والسنة في الدلالة على فضائل الصحابة – رضي الله عنهم – وبيان شرفهم، ومنزلتهم عند الله تعالى، وعند رسوله – صلى الله عليه وسلم – فمن فضائلهم في الكتاب العزيز[٢]: قول الله تعالى – في شأنهم –: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[٣]، وقال سبحانه وتعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)) إلى قوله : ((أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ))[٤]، وقال تعالى : ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّه وَرِضْوَانًا))[٥].

---

١ مجموع الفتاوى ٢/٢٨٠.

٢ راجع الآيات الواردة في فضائلهم – رضي الله عنهم – وهي كثيرة في اليمانيات المسلولة على الرافضة المخذولة لزين العابدين الكوراني تحقيق الدكتور المرابط الشنقيطي صـ٢٢٥.

٣ سورة التوبة (الآية:١٠٠).

٤ سورة الأنفال (الآيات:٧٢-٧٤).

٥ سورة الفتح (الآية:٢٩).

ومن فضائلهم في السنة[١]: ما ثبت في الحديث الصحيح من أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: (خيرُ النّاسِ قَرني ثمّ الذين يلونَهم)[٢]، وقال – صلى الله عليه وسلم –: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ[٣])[٤]، يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي – رحمه الله – في عقيدته: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ)[٥].

وتأكد في نصوص الشريعة فضلِ أعيان منهم؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وبقية العشرة المبشرين بالجنة، والحسن والحسين، وثابت بن قيس بن شمَّاس، وعُكَّاشة بن مِحصن، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين [٦]، وبين شيخ

---

١ راجع الأحاديث الواردة في فضائلهم – رضي الله عنهم – وهي كثيرة في اليمانيات المسلولة على الرافضة المخذولة لزين العابدين الكوراني تحقيق الدكتور المرابط الشنقيطي صـ٢٧٤.

٢ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٢٦٥٢) انظر فتح الباري ٥/٧، والإمام مسلم في صحيحه برقم: (٢٥٣٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٨/١٥.

٣ النصيف لغة في النصف، قال الشاعر:

لم يَغْذُها مُدٌّ ولا نصيف

وهو مكيال أيضا. انظر مختار الصحاح صـ ٥٩٧ مادة: (ن ص ف) ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٦٥/٥، والمفردات في غريب القرآن ٨٠٩/١.

٤ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٣٦٧٣) . واللفظ له . انظر فتح الباري ٣٤/٧ ، والإمام مسلم في صحيحه برقم: (٢٥٤١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٩٣/١٦.

٥ شرح العقيدة الطحاوية طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة ٤٧٥/١.

٦ انظر شرح العقيدة الطحاوية طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة ٤٧٥/١، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم للدكتور ناصر الشيخ ١١٧/١.

الإسلام ابن تيمية -رحمهُ الله- أن الصحابة – رضي الله عنهم – أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام- فقال: (وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ الْفَضَائِلِ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى)[١]، وتفضيلهم على غيرهم من الخلق؛ سوى الأنبياء – عليهم السلام – مستفاد من قوله تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ))[٢] فإذا كانت هذه الأمة خير الأمم، وكان الصحابة خير هذه الأمة؛ تيقن أن الصحابة – رضي الله عنهم – خير الناس بعد الأنبياء، لا وُجد في الماضي جيل مثلهم، ولا يوجد في آخر الزمان جيل مثلهم – رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومما يشهد على هذه الفائدة العقدية من القصة:

أ- إثبات فضائل الصحابة عموما – رضي الله عنهم-:

يقول ابن عطية[٣] – رحمه الله – في تفسيره: (سمعت أبي – رضي الله عنه – يقول: سمعت أبا الفضل الجوهري على المنبر، وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة، فأطرق قليلا ثم رفع رأسه وأنشد[٤]:

---

١ مجموع الفتاوى ١٥٦/٣.

٢ سورة آل عمران (الآية:١١٠).

٣ هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، ولد سنة ٤٨١هـ، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، توفي سنة ٥٤٢هـ، وقيل غير ذلك. انظر نفح الطيب ٥٩٣/١، والأعلام ٢٨٢/٣.

٤ البيت للشاعر طرفة بن العبد. انظر ديوانه صـ١٥٣ ، والمثبت بالديوان:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   فإن القرين بالمقارن مقتدي

وبعده البيت التالي في المعنى نفسه:

عَنِ المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ   فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارَنِ مُقْتَدِ

ماذا تريدون من قوم قرنهم الله بنبيه – صلى الله عليه وسلم – وخصهم بمشاهدته، وتلقي الوحي منه؟ وقد أثنى الله على رجل مؤمن من آل فرعون، كتم إيمانه وأسرَّه، فجعله الله تعالى في كتابه ، وأثبت ذكره في المصاحف؛ لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حين جرد سيفه بمكة وقال: والله لا أعبد الله سرا بعد اليوم)[١].

ب – إثبات فضل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –:

روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (الصديقون: حبيب النجار، مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون، الذي قال ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله))[٢] ، والثالث أبو بكر الصديق[٣]، وهو أفضلهم)[١]، وحين أراد المشركون

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وينسب البيت أيضا للشاعر عدي بن زيد التميمي. انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٣٥٦/١ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢٣٠/٢.

١ تفسير ابن عطية ٥٥٥/٤، وانظر تفسير الثعالبي ١١١/٥، وروح المعاني للآلوسي١٧٦/٨.

٢ سورة غافر (الآية: ٢٨).

٣ وروي بطريق أخرى على أن الثالث علي – رضي الله عنه – وذلك بلفظ: (الصِّدِّيقُونَ ثَلاثَةٌ : حَبِيبُ بْنُ مُوسَى النَّجَّارُ مُؤْمِنُ آلِ يَاسِينَ ، وَحِزْقِيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ رضي الله عنهم) انظر فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢/ ٦٢٧ حديث رقم: (١٠٧٢) قال محققه: موضوع، فهو حديث موضوع كما نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على ابن المطهر وقد ذكر هذا الحديث، وبيّن وجه رده سنداً ومتناً. انظر مختصر منهاج السنة النبوية صـ٤٥٢، كما حكم عليه بالوضع – أيضا – الشيخ الألباني. انظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني صـ ٥١٩ حديث رقم: (٣٥٤٩) و(السلسلة الضعيفة١/ ٣٥٩).

أن يؤذوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالضرب أو القتل بمكة دافع عنه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فتعرض أبو بكر – رضي الله عنه – للإيذاء والضرب المبرّح، فعن عروة بن الزبير – رضي الله عنه – قال: (سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؟ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم))[٢]، [٣]، وفي رواية من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما– قالت: (فأتى الصريخ – أي المستنجد– إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له غدائر[٤]، فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم))[٥] ، فلَهَوْا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأقبلوا على أبي بكر، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئا من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول:

---

١ أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٢/٣ ، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم: (٣٢٨٩٧)، وأورده القرطبي في تفسيره ٣٠٩/١٥، والآلوسي في روح المعاني ١٧٦/٨.

٢ سورة غافر (الآية: ٢٨).

٣ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٣٦٧٨) انظر فتح الباري ١٦٩/٧، وأحمد في المسند ٢٠٤/٢، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٠/١.

٤ جمع غديرة، وهي: الذؤابة المرسلة من الشعر. انظر مختار الصحاح صـ٤٣١ مادة (غ د ر).

٥ سورة غافر (الآية: ٢٨).

تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ)[١]، وَرَوَى الْبَزَّارُ فِي " مُسْنَدِهِ " مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ عَلِيٍّ – رضي الله عنه – أَنَّهُ خَطَبَهُمْ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا انْتَصَفْتُ مِنْهُ؛ وَلَكِنْ هُوَ: أَبُو بَكْرٍ، إِنَّا جَعَلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَرِيشًا[٢]، فَقُلْنَا: مَنْ يَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِئَلَّا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟ فَوَ اللَّهِ مَا دَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ، إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ، فَهَذَا أَشْجَعُ النَّاسِ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ، فَهَذَا يَجَؤُهُ[٣]، وَهَذَا يُتَلْتِلُهُ[٤]، وَيَقُولُونَ: أَنْتَ جَعَلْتَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ فَوَ اللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، يَضْرِبُ هَذَا، وَيَجَأُ هَذَا، وَيُتَلْتِلُ هَذَا، وَهُوَ يَقُولُ: وَيْلَكُم! ((أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ: رَبِّيَ اللَّه))[٥] ثُمَّ رَفَعَ عَلِيٌّ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، أَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَوَ اللَّهِ لَسَاعَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ،

---

١ أخرجه الحميدي في مسنده ١/ ١٥٥حديث رقم: (٣١٩) ، وأبو يعلى في مسنده ٥٢/١ ، والبزار في مسنده ٣/٢ ،وفضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق الدكتور صالح العقيل ١/ ٨٦ حديث رقم: (٨١) وانظر البداية والنهاية لابن كثير ١١٧/٤.

٢ العريش: المظلة التي تصنع من جريد النخل. انظر تهذيب اللغة ٢٦٤/١، ولسان العرب ٣١٣/٦.

٣ أي: يدفعه ، وينحِّيه. انظر لسان العرب ١٩١/١

٤ التلتلة: التحريك ، والإقلاق. انظر لسان العرب ٩٧/١١.

٥ سورة غافر (الآية: ٢٨).

خَيْرٌ مِنْ مَلْءِ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ، ذَاكَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ، وَهَذَا رَجُلٌ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ) ثُمَّ قَالَ الْبَزَّارُ: لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ[1].

ج- إثبات فضل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -:

حين اشتدت وطأة كفار قريش على المسلمين، وبالغوا في إيذائهم واضطهادهم ، أتى أمر الهجرة، وكانت لكل مسلم طريقته في الخروج إلى المدينة ، فكانت طريقة بعض المستضعفين من المسلمين أن يهاجروا خفية، بسبب تربص الكفار بهم؛ بينما هاجر عمر – رضي الله – علانية؛ في تحد لكفار قريش، ففي رواية: (أن عمر – رضي الله عنه – لما همَّ بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى[2] في يده أسهمًا، واختصر عنزته[3]، ومضى قِبَل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا، متمكنًا، ثم أتى المقام، فصلى متمكناً، ثم وقف على الحِلق واحدة واحدة، وقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس٤، من أراد أن يُثكل أُمّه، أو

---

١ مسند البزار "البحر الزخار" ٣/ ١٤ حديث رقم: (٧٦١) وانظر مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة لابن زنجويه السمان صـ٤٢ ، والبداية والنهاية ٣/٢٧١، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي ٦/ ٢٣٥ حديث رقم: (٣٥٦٨٥) وحياة الصحابة لمحمد الكاندهلوي ١/٢٣٩.

٢ أي: سله من كنانته. انظر مختار الصحاح صـ٥٩٩ مادة: (ن ض ا).

٣ العنَزَة: عصاً أقصر من الرمح. انظر المصباح المنير للفيومي٢/ ٤٣٢ مادة: (العنزة).

٤ مفردها: مَعْطِس على وزن: مجلس، وهو: الأنف. انظر المصباح المنير للفيومي٢/ ٤١٦ مادة: (العطاس).

يؤتم ولده، أو ترمّل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم وأرشدهم، ومضى لوجهه)[١].

وجه استنباط هذه الفائدة من قصة مؤمن آل فرعون:مقارنة موقف مؤمن آل فرعون، صاحب موسى – عليه السلام – الذي أعلن إيمانه، في وقت الحاجة؛ بعد أن كتمه سنين طويلة للدفاع عن نبيه موسى – عليه السلام – في مجلس الكفر، المكتظ بصناديد أهل الإلحاد المجرمين؛ أمثال فرعون وملئه – مقارنه هذه الهَبَّة، ودفاع هذا المؤمن عن نبيه، ودينه بمواقف الصحابة – رضي الله عنهم – في دفاعهم عن نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعن دين الإسلام، وتضحياتهم الفدائية بأرواحهم في سبيل الله تعالى، والدخول في معارك ضارية مع صناديد الكفر من قريش، وغيرهم من أعداء الإسلام، رغم قلتهم، وضعفهم، مع جهرهم بالإسلام، والكفر بالآلهة الباطلة التي تعبدها قريش، وإعلانهم اتباع خاتم النبيين – صلى الله عليه وسلم – فهم أحق بالأفضلية من مؤمن آل فرعون، الذي كان يضمر إيمانه. والله تعالى أعلم.

***   ***   ***

---

١ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٥١ ، وابن الأثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/ ١٤٥، والمحرر الوجيز ٥٥٦/٤ ،والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١١٣/٥ وأشار الدكتور أكرم العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة إلى ضعف هذه القصة ٢٠٦/١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله، وعونه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالآيات البينات، والأحكام الواضحات، الموحى إليه بقصص الأولين، وعواقب الغابرين، لأخذ العبرة من الهالكين، واتخاذ الأسوة من الصالحين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهتدين.

وبعد فقد عشنا مع قصة مؤمن آل فرعون – رضي الله عنه – ذلك الرجل الصالح المؤمن، الذي كتم إيمانه من فرعون مدة طوية بلغت (١٠٠) عام، كما قال مقاتل – رحمه الله –[١] ثم أعلن إيمانه في وقت الحاجة، عندما أراد فرعون أن يبطش بنبي الله موسى – عليه السلام – فرفع عقيرته، وصدع بالحق، وأعلن إسلامه، ودافع عن عرض نبي الله موسى – عليه السلام – في مجلس من مجالس الكفر، ضم طغاة البشر، وأئمة الكفر والإلحاد، من أمثال فرعون وملئه.

---

١ انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٧١١، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٥.

ويحسن بي أن أشير إلى النتائج التي توصلت إليها من خلال الكتابة في هذا البحث، في النقاط التالية:

١- عرفنا أن الراجح في هذا الرجل المؤمن، الذي خلد القرآن الكريم ذكره، وتدور حوله هذه القصة العجيبة في سورة (غافر) أنه قبطي من قوم فرعون؛ وذلك بسبب أن سياق القصة في مبناها ومعناها يدل على ذلك؛ من خلال إنصات فرعون لكلامه، وإتمام حجته، وعدم التعجيل بعقوبته؛ على أن بعض العلماء يرى أنه من بني إسرائيل، وليس من آل فرعون.

٢- تنبين لنا من خلال هذا البحث في التحقق من اسم هذا الرجل المؤمن، أن العلماء اختلفوا في اسمه؛ فمنهم من ذكر أن اسمه حبيب، وقيل حِزقيل ، وقيل جِبريل ، وقيل خَربيل، وقيل شمعان بالشين المعجمة، قال السهيلي : وهو أصح ما قيل فيه[١].

٣- استنتجنا من عدم تصريح القرآن الكريم باسم هذا الرجل المؤمن أن ذلك قد يكون لحكمة ومغزىً؛ وهو أن القرآن الكريم لا يعنى بذكر الأسماء، والأشخاص، والأماكن، والأزمان؛ وإنما عنايته بأخذ العبرة واستنتاج الحكمة؛ ولذلك كانت قصة هذا المؤمن مليئة بالفوائد والأحكام والعبر؛ رغم إغفال القرآن الكريم التصريح باسم صاحبها؛ كما هي عادة القرآن الكريم.

٤- اتضح لنا من خلال سرد آيات القصة في سورة (غافر) أن مؤمن آل فرعون؛ بسبب قربه من فرعون وملئه كتم إيمانه، ولم يبح به حتى حانت اللحظة الحاسمة، وأراد فرعون أن يقتل موسى – عليه السلام – كما صور الله ذلك الموقف بقوله تعالى – في شأن فرعون –: ﴿(

---

١ انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٠٦/١٥.

ذروني أقتل موسى)﴾١ فأخذت الرجل غضبه لله عز وجل، وقيضه الله تعالى لإنقاذ موسى – عليه السلام – من شر فرعون وقومه، ولما انتهى هذا المؤمن من الدفاع عن نبيه موسى –عليه السلام– في مجلس فرعون، وبلغ دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، جاء في آخر القصة أنه صرح لهم بإيمانه بموسى، وبرب موسى، وبما جاء به موسى ؛ عند ذلك أراد فرعون قتله، فنجاه الله من كيد فرعون، فقيل إنه فر إلى جبل، فاتبعته طائفة من جند فرعون، فوجدوه يصلي، والوحوش حوله صفوفاً، فرجعوا مرعوبين منه فقتلهم فرعون، وقيل إن المؤمن لما انتهى من محاجة فرعون في مجلسه، وإظهاره الحق، انتصارا لموسى – عليه السلام– تركهم، ثم طلبوه فلم يقدروا عليه؛ لأنه نجا مع موسى –عليه السلام – لما عبر البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿(فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بإل فرعون سوء العذاب)﴾٢ أي الغرق.

٥–من الفوائد العقدية التي تم استنباطها من القصة:

تم استنباط كثير من الفوائد، والأحكام، والعبر، والأسرار العقدية، التي اشتملت عليها هذه القصة العجيبة، في موقف هذا الرجل المؤمن الصالح، وقد بلغت إحدى عشر فائدة عقدية، وسأوردها – باختصار – على النحو التالي:

١–منزلة الإيمان وأهميته.

٢–الإيمان بالأنبياء والرسل – عليهم السلام.

---

[١] سورة غافر (الآية: ٢٦).

[٢] سورة غافر (الآية: ٤٤٥).

٣- الإيمان بمعجزات الأنبياء – عليهم السلام:

أ- إثبات معجزات نبي الله يوسف – عليه السلام.

ب- إثبات معجزات نبي الله موسى – عليه السلام.

٤- نفي الظلم عن الله تعالى.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالجنة والنار.

٧- أصناف أهل الجنة والنار:

أ- من أصناف أهل الجنة.

ب- من أصناف أهل النار.

٨- جحود فرعون للصانع.

٩- الإيمان بالقضاء والقدر.

١٠- إثبات عذاب القبر.

١١- إثبات فضائل الصحابة – رضي الله عنهم.

- إثبات فضائل الصحابة عموما – رضي الله عنهم.

التوصيات:

ومما يوصي به الباحث في نهاية هذه الدراسة: أقترح على الباحثين الكتابة في موضوع هذه القصة العجيبة، فهي مليئة بالأسرار، والأحكام، والفوائد؛ فمما يمكن الكتابة فيه وتجليته:

- بيان الفوائد الدعوية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون.
- بيان الفوائد التربوية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون.
- تأثير أسلوب مؤمن آل فرعون في المدعوين.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعلني موفقا في اختيار الكتابة في هذا الموضوع، وأن يجعل ما بذلته من جهد في إبراز هذه الفوائد العقدية من هذه

القصة العجيبة، من العلم النافع، والعمل الصالح المفيد، وأن يجعله متقبلاً خالصا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

أولاً: فهرس المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم

ب-المصادر والمراجع العامة:

١- الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي تحقيق محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى ١٤٠٥هـ.

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لجار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ثالثة ١٤٠٧هـ.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل= تفسير البيضاوي، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط أولى ١٤١٨هـ.

٤- شرح السنة للإمام الحسن بن علي بن خلف البربهاري، ترقيم آلي ضمن كتب المكتبة الشاملة.

٥- أحكام القرآن لابن العربي، راجعه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ثالثة ١٤٢٤هـ.

٦- إحياء علم الدين لأبي حامد الغزالي، طبعة دار المعرفة – بيروت.

٧- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط رابعة ١٤٢٠هـ.

٨- أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤١٩هـ.

٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، تحقيق علي معوض وآخر، دار الكتب العلمية، ط أولى ١٤١٥هـ.

١٠- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي- السعودية.

١١- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد – للدكتور ناصر القفاري، ط أولى ١٤١٤هـ.
١٢- أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة للدكتور سعود الخلف ١٤٢٠هـ.
١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ١٤١٥هـ.
١٤- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ الحكمي، تحقيق حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- السعودية، ط ثانية ١٤٢٢هـ.
١٥- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٢م.
١٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف- الرياض.
١٧- الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي وضع حواشيه عبد الله الخليلي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط أولى ١٤٢٤هـ.
١٨- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابن أبي الخير الشافعي، تحقيق الدكتور سعود الخلف، أضواء السلف- الرياض، ط أولى ١٤١٩هـ.
١٩- الأنساب لعبد الكريم السمعاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد، ط أولى ١٩٦٢م.
٢٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط أولى ١٤١٨هـ.
٢١- الإيمان بالقدر للدكتور علي الصلابي، المكتبة العصرية، ط أولى.

٢٢- الإيمان باليوم الآخر للدكتور علي الصلابي، المكتبة العصرية، ط أولى.
٢٣- الإيمان لابن تيمية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي– عمان، ط خامسة ١٤١٦هـ.
٢٤- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ.
٢٥- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط أولى ١٤١٨هـ.
٢٦- بدائع الفوائد لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني
٢٨- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٩- تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق عمر العمروي، دار الفكر ١٤١٥هـ.
٣٠- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين لأبي المظفر الإسفراييني تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط أولى ١٤٠٣هـ.
٣١- تجريد التوحيد المفيد للمقريزي تحقيق طه الزيني، طبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.
٣٢- التحرير والتنوير = تفسير محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
٣٣- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي لشيخنا الدكتور عبد الرزاق البدر، دار غراس، ط أولى ١٤٢٤هـ.

٣٤- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، الصادق إبراهيم، مكتبة دار المنهاج – الرياض، ط أولى ١٤٢٥هـ.

٣٥- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنِين، تحقيق حسين عكاشة وآخر، الفاروق الحديثة – مصر، ط أولى ١٤٢٣هـ.

٣٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية– بيروت، ط أولى ١٤١٩هـ.

٣٧- تفسير القرآن الكريم لمحمد المنتصر بالله الكتاني، ترقيم آلي ضمن كتب المكتبة الشاملة.

٣٨- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني، تحقيق ياسر غنيم، دار الوطن– الرياض، ط أولى ١٤١٨هـ.

٣٩- تفسير القرآن للعز بن عبد السلام، تحقيق عبد الله الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط أولى ١٤١٦هـ.

٤٠- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته ،دار إحياء التراث بيروت، ط أولى ١٤٢٣هـ.

٤١- التكفير وضوابطه لمنقذ السقار، طبعة رابطة العالم الإسلامي.

٤٢- التمهيد لأبي بكر الباقلاني، تحقيق رتشرد مكارثي، جامعة الحكمة – بغداد ١٩٥٧م.

٤٣- تنزيه الأنبياء عن ما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن السبتي تحقيق محمد الداية، دار الفكر المعاصر – لبنان، ط أولى ١٤١١هـ.

٤٤- تهذيب التهذيب لابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط أولى ١٣٢٦.

٤٥- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط أولى ٢٠٠١م.

٤٦- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي، مرقم آليا، ضمن كتب المكتبة الشاملة.

٤٧- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الوهاب، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط أولى ١٤٢٣هـ.

٤٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط أولى ١٤٢٠هـ.

٤٩- جامع البيان في تأويل القرآن= تفسير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط أولى ١٤٢٠هـ.

٥٠- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ثانية ١٩٦٤م.

٥١- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي تحقيق علي البجادي، ط أولى ١٤٢٦هـ.

٥٢- الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان لمحمود المنياوي، مكتبة ابن عباس ط أولى ١٤٣٦هـ.

٥٣- الجنة والنار لعمر الأشقر، دار النفائس – الأردن، ط سابعة ١٤١٨هـ.

٥٤- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف للدكتور عبد العزيز الطويان، طبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط ثانية ١٤٢٧هـ.

٥٥- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية لشمس الدين الأفغاني، دار الصميعي، أولى ١٤١٦هـ.

٥٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط أولى ١٤١٨هـ.

٥٧- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، مطبعة المدني – القاهرة .

٥٨- الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة لجلال الدين الدواني تحقيق الدكتور عبد الله حاج منيب، مكتبة الإمام البخاري، ط أولى ١٤٢٠هـ.

٥٩- الحركات الباطنية في لعالم الإسلامي وحكم الإسلام فيها للدكتور محمد الخطيب، مكتبة الأقصى–الرياض ط أولى ١٤٠٤هـ.

٦٠- حياة الصحابة لمحمد الكاندهلوي، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط أولى ١٤٢٠هـ.

٦١- خزانة الأدب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط رابعة ١٤١٨هـ.

٦٢- خلق أفعال العباد للإمام البخاري، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار المعارف السعودية – الرياض.

٦٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر – بيروت.

٦٤- الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعلماء نجد الأعلام، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، ط سادسة ١٤١٧هـ.

٦٥- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة للحافظ ابن حجر، مراقبة محمد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد، ط ثانية ١٩٧٢م.

٦٦- الديباج في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي تحقيق الدكتور محمد أبو النور مكتبة دار التراث.

٦٧- ديوان أمية بن أبي الصلت تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧٤م.

٦٨- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب وآخر، طبعة المؤسسة العربية-بيروت، ط ثانية ٢٠٠٠م.

٦٩- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيبد، ط وزارة الثقافة العراقية، دار الجمهورية- بغداد ١٩٦٥م.

٧٠- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر – بيروت ١٩٦٧م.

٧١- رسالة في القضاء والقدر لابن عثيمين، دار الوطن ١٤٢٣هـ.

٧٢- الرسل والرسالات لعمر الأشقر، مكتبة الفلاح – الكويت، ط رابعة ١٤١٠هـ.

٧٣- روائع التفسير= تفسير ابن رجب الحنبلي، تحقيق طارق بن عوض الله، دار العاصمة – السعودية، ط أولى ١٤٢٢هـ.

٧٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، تحقيق علي عطية، ط أولى ١٤١٥هـ.

٧٥- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط أولى ١٤٢٢هـ.

٧٦- الزهد والرقائق لابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٧- زيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه لشيخا الدكتور عبد الرزاق البدر، مكتبة دار القلم والكتاب-الرياض، ط أولى ١٤١٦هـ.

٧٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، طبعة المكتب افسلامي-بيروت، ط ثانية ١٣٩٩هـ.

٧٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني، دار المعارف –الرياض، ط أولى ١٤١٢هـ.

٨٠- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية

٨١- سنن أبي داود، دار الدعوة، تركيا ١٤٠١هـ.

٨٢- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط ثانية ١٣٩٥هـ.

٨٣- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت ط أولى ١٤١٧هـ.

٨٤- السيرة النبوية الصحيحة لشيخنا الدكتور أكرم العمري، طبعة مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، ط سادسة ١٤١٥هـ.

٨٥- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ثانية ١٩٥٥م.

٨٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة– بيروت.

٨٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، للالكائي تحقيق الدكتور أحمد سعد الغامدي، ط ثامنة وزارة الأوقاف – السعودية ١٤٢٤هـ.

٨٨- شرح السنة للبربهاري تعليق الدكتور ناصر العقل، مرقم آليا ضمن كتب المكتبة الشاملة.

٨٩- شرح العقيدة الطحاوية تحقيق التركي والأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط عاشرة ١٤١٧هـ.

٩٠- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تقريب وترتيب الدكتور خالد فوزي، مكتبة السوادي – جدة، ط ثالثة ١٤٢٦هـ.
٩١- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- السعودية، ط أولى ١٤١٨هـ.
٩٢- شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، ترقيم آلي ضمن كتب المكتبة الشاملة.
٩٣- شرح العقيدة الواسطية للهراس، ضبطه علوي السقاف، دار الهجرة – الخبر، ط ثالثة ١٤١٥هـ.
٩٤- شرح كتاب السنة للبربهاري شرح الدكتور عبد العزيز الراجحي، ترقيم آلي ضمن كتب المكتبة الشاملة.
٩٥- شرح نواقض التوحيد للدكتور حسن عواجي، مكتبة لينة، ط أولى ١٤١٣هـ.
٩٦- الشرك في القديم والحديث للدكتور أبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد- الرياض، ط أولى ١٤٢١هـ.
٩٧- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، دار المعرفة- بيروت ١٣٩٨هـ.
٩٨- شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره للدكتور بلقاسم الغالي دار ابن حزم ط أولى ١٤١٧هـ
٩٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط ثانية ١٣٩٩هـ.
١٠٠- صحيح الإمام البخاري= المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، ط أولى ١٤٢٢هـ.

١٠١- صحيح مسلم بشرح النووي =المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق نظر الفاريابي، دار طيبة، ط أولى ١٤٢٧هـ.

١٠٢- ضعيف الترغيب والترهيب للألباني، طبعة مكتبة المعارف – الرياض.

١٠٣- ضعيف الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني، بإشراف زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي.

١٠٤- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، دار المعرفة- بيروت، ط ثانية.

١٠٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، دار السلفية –القاهرة، ط ثانية ١٣٩٤هـ.

١٠٦- العبر في خبر من غبر للذهبي، تحقيق محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية–بيروت، ط أولى ١٤٠٥هـ.

١٠٧- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشيخ محمد الأمين الشنقيطي تحقيق الدكتور خالد السبت إشراف الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط ثانية ١٤٢٦هـ.

١٠٨- العقد الفريد لابن عبد ربه، دار الكتب العلمية – بيروت، ط أولى ١٤٠٤هـ.

١٠٩- العقل والنقل عند ابن رشد لمحمد أمان الجامي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٨هـ.

١١٠- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم للدكتور ناصر الشيخ، مكتبة الرشد- الرياض، ط ثالثة ١٤٢١هـ.

١١١- العقيدة رواية أبي بكر بن الخلال للإمام أحمد تحقيق عبد العزيز السريوان، دار قتيبة – دمشق، ط أولى ١٤٠٨هـ.

١١٢- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها للإمام الذهبي، تحقيق أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف – الرياض، ط أولى ١٤١٦هـ.

١١٣- العين والأثر في عقائد أهل الأثر ابن فَقِيه فُصَّة تحقيق عصام قلعجي، دار المأمون للتراث، ط أولى ١٤٠٧هـ.

١١٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط أولى ١٤١٦هـ.

١١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف محب الدين الخطيب، تعليق العلامة ابن باز.

١١٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، دار ابن كثير– دمشق، ط أولى ١٤١٤هـ.

١١٧- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ حامد بن محمد بن حسين بن محسن تحقيق الشيخ بكر أبو زيد، دار المؤيد، ط أولى ١٤١٧هـ.

١١٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط ثانية ١٩٧٧م.

١١٩- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجي، المكتبة العصرية–جدة، ط رابعة ١٤٢٢هـ.

١٢٠- فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق الدكتور صالح العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع– المدينة المنورة، ط أولى ١٤١٧هـ.

١٢١- فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د. وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط أولى ١٤٠٣هـ.

١٢٢- الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، تأليف الدكتور محمد الخميس، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، ط أولى ١٤١٩هـ.
١٢٣- القاموس المحيط للفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة–بيروت، ط ثامنة ١٤٢٦هـ.
١٢٤- القول السديد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن السعدي، تحقيق المرتضى أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط ثالثة.
١٢٥- القيامة الصغرى لعمر الأشقر، دار النفائس – الأردن، ط رابعة ١٤١١هـ.
١٢٦- القيامة الكبرى لعمر الأشقر، دار النفائس – الأردن، ط سادسة ١٤١٥هـ.
١٢٧- كتاب أصول الدين لجمال الدين الغزنوي تحقيق د/ عمر الداعوق، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط أولى ١٤١٩هـ.
١٢٨- كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق الشيخ الألباني، مكتبة المعارف، ط أولى ١٤٢١هـ.
١٢٩- كتاب التعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف، مدار الوطن، ط ثانية ١٤٣٢هـ.
١٣٠- كتاب التعريفات للشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ط أولى ١٤٠٣هـ.
١٣١- كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق عبد الله بن حسن آل الشيخ، المطبعة السلفية– مكة المكرمة ١٣٤٩هـ.
١٣٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط أولى ١٤٠٤هـ.

١٣٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، تحقيق بكري حياني وآخر، مؤسسة الرسالة، ط خامسة ١٤٠١هـ.
١٣٤- لباب التأويل في معاني التنزيل=تفسير الخازن، تصحيح محمد شاهين، ط أولى ١٤١٥هـ.
١٣٥- لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط ثالثة ١٤١٤هـ.
١٣٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية للسفاريني، دار الخافقين–دمشق، ط ثانية ١٤١٢هـ.
١٣٧- مباحث العقيدة في سورة الزمر للدكتور ناصر الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، ط أولى ١٤١٥هـ.
١٣٨- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ.
١٣٩- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط أولى ١٤١٨هـ.
١٤٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط أولى ١٤٢٢هـ.
١٤١- مختار الصحاح للرازي، ترتيب محمود خاطر بك ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة زهران بمصر.
١٤٢- مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة لابن زنجويه السمان، اختصره الزمخشري، تحقيق السيد أحمد، دار الكتب العلمية–بيروت.
١٤٣- مختصر منهاج السنة النبوية، عبد الله الغنيمان، دار الصديق، ط ثانية ١٤٢٦هـ.
١٤٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، تحقيق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ثالثة ١٤١٦هـ.

١٤٥- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للدكتور إبراهيم البريكان، دار ابن القيم – الدمام، ط أولى ١٤٢٣هـ.

١٤٦- مسألة الإيمان دراسة تأصيلية للدكتور علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، مرقم آليا من كتب الشاملة.

١٤٧- مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون- دمشق، ط أولى ١٤٠٤هـ.

١٤٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط أولى ١٤٢١هـ.

١٤٩- مسند البزار= البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخَرين، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط أولى ١٩٨٨م.

١٥٠- مسند الحميدي، تحقيق حسن الدَّارَانيّ، دار السقا-دمشق، ط أولى ١٩٩٦م.

١٥١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد الفيومي، المكتبة العلمية- بيروت.

١٥٢- مصطلحات في كتب العقائد للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، درا بن خزيمة، ط أولى.

١٥٣- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق عمر بن محمود، دار ابن القيم – الدمام، ط أولى ١٤١٠هـ.

١٥٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن- تفسير الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط أولى ١٤٢٠هـ.

١٥٥- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعواد المعتق، مكتبة الرشد–الرياض، ط ثانية ١٤١٦هـ.

١٥٦- معجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح، مكتبة العبيكان، ط أولى ١٤١٧هـ.

١٥٧- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت.

١٥٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ثالثة ١٤٢٠هـ.

١٥٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

١٦٠- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق صفوان الداودي، دار القلم–دمشق، ط أولى ١٤١٢هـ.

١٦١- المفيد في مهمات التوحيد للدكتور عبد القادر عطا صوفي، دار أضواء السلف، ط أولى ١٤٢٨هـ.

١٦٢- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط أولى ١٤٠٦هـ.

١٦٣- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام للدكتور حمود الرحيلي، عمادة البحث العلمي–الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط أولى ١٤٢٤هـ.

١٦٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي، طبعة وزارة الثقافة دار الكتب– مصر.

١٦٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقري تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر ١٩٦٨م.

١٦٦- النكت والعيون = تفسير الماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٦٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط ثانية ١٤٠٠هـ.
١٦٨- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوى وآخر، المكتبة العلمية – بيروت ١٩٧٩م.
١٦٩- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره=تفسير مكي بن أبي طالب، مجموعة رسائل علمية، جامعة الشارقة–الإمارات، ط أولى ١٤٢٩هـ.
١٧٠- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي، مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٥١م.
١٧١- الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم للدكتور المرابط محمد يسلم المجتبى الشنقيطي، دار الفضيلة – الرياض، ط أولى ١٤٢٤هـ.
١٧٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٧م.
١٧٣- الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف لمحمد سعيد القحطاني، دار طيبة– الرياض، ط أولى.
١٧٤- اليمانيات المسلولة على الرافضة المخذولة لزين العابدين الكوراني، تحقيق الدكتور المرابط محمد يسلم المجتبى الشنقيطي، مكتبة الإمام البخاري، ط أولى ١٤٢٠هـ.

تم بحمد الله تعالى،،،